احداث بلاد طرابلس الشام

١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ
١٦٠٦ م / ١٦٠٧ م

للدكتور عدنان البخيت

يُعَيدُ نهاية القرن السادس عشر الميلادي بدات السلطنة العثمانية تعاني من أسباب الضعف والانحطاط (١) ؛ ومن مظاهر هذا الضعف كثرة حركات العصيان التي اصبحت تلفّ مختلف الولايات العثمانية، حيث كان من ابرزها الحركة الجلالية التي اكتسحت بلاد الاناضول، مستغلّةً المظالم الاجتماعية التي كانت قد لحقت بريف تلك الهضبة (٢). ولم تكن هذه الحركة لِتَمُرَّ دون ان تترك لها اثرا على المناطق الشامية، خاصّةً المحاذية لها كحلب وبلاد طرابلس الشام (٣) . ولعلّه من المفيد

---

(١) حول أسباب ضعف الدولة العثمانية في اواخر القرن السادس عشر انظر :
Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, 2nd edition, Oxford University Press, 1968, pp. 21 - 39, Inalcik, Halil, The Ottoman Empire: The Classical Age 1300 - 1600, Weidenfeld and Nicolson, London, 1973, pp. 41 - 52.

(٢) حول الحركة الجلالية انظر دراسة :
Mustafa Akdag, Turk Halkinin Dirlik Ve Duzenlik Kavgasi, Bilgi Yayinleri, Ankara, 1975.

وكذلك رسالة
Celaveld, W. J., Political Unrest and Rebellion in Anatolia 1605 - 1609 Ph. D. Thesis, University of California, Los Angeles, 1966.

(٣) حول هذا الموضوع : انظر مزيدا من التفصيلات في الترجمة التي أوردها حسين ابن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) لعبد الحليم اليازجي « الباشي الخارجي » (ت ١٠١٠ هـ / ١٦٠١ م) ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، م ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ ، م ٢ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٧٠ ، كذلك انظر : المحبي ، محمد امين (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، ٤ م ، تصوير دار صادر بيروت ، لا . ت ، م ٢ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤ .

هنا أن نتذكّر أن السلطنة العثمانية،انسجاما مع سياستها التقليدية (٤) ، لم تُلغِ الزعامات المحلّية المتعاونة معها في بلاد الشام بعد ضمّ هذه البلاد الى الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الاول،بعد معركة مرج دابق (٢٥ رجب ٩٢٢ هـ / ٢٤ آب ١٥١٦ م) ، اذ أن معظم هذه الزعامات حافظت على وجودها مُستكينةً بإبّان قوّة الدولة ضمن الاطار العثماني . الا أنها بدأت تتحرّك في الربع الأخير من القرن السادس عشر لتُوسّع من دائرة نفوذها على حساب السلطة العثمانية المحلّية ، ولكنْ ليس بقصد الاستقلال عن السلطنة العثمانية . ولقد استفادت من انشغال الدولة العثمانية في حروبها الطويلة المستديمة على الجبهتين الصفوية والنمساوية،بالاضافة الى الخسائر التي تكبّدها العثمانيون في اخضاع حركات التمرّد والعصيان في اليمن وفي غيرها (٥) من بلدان سلطنتهم . كما أنه كان قد تَرتّب على انتصار تحالف البابوية واسبانيا والبندقية في معركة ليبانتو Lepanto البحرية،في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٧١ م،أن قوّة الدولة العثمانية البحرية،من حيث العَدد والعُدّة والنوعية والحالة النفسية، قد أصبحت دون مستوى الاساطيل الاوروبية (٦) ، وان الدول الاوروبية ، خاصة الكاثوليكية منها ، قد عاودتها من جديد الفكرة

---

(٤) انظر مقالة :

Inalcik, H., "Ottoman Methods of Conquest", Studia Islamica, Vol. II (1954), pp. 102 - 29.

(٥) انظر :

Bakhit, M. A., The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, SOAS, London, 1972, pp. 186 - 221.

(٦) حول معركة ليبانتو انظر :

Creasy, Edward S.,

Hisory of the Ottoman Turks, Reprint, Khayats, Beirut, 1961, pp. 219-22.

Inalick, H. The Ottoman Empire, pp. 41 - 42.

كذلك انظر التحليل العسكري لهذه المعركة من الناحية الحربية في دراسة :

Guilmartin JR., John Francis, Gunpowder and Galleys; Changing Technology and Mediterranean Warfare at Sea in the Sixteenth Century, Cambridge University Press, 1974, pp. 221 - 252.

الصليبية المستهدفة استخلاص فلسطين من ايدي المسلمين ، ولكن هذه المرة ليس بارسال حملات من أوروبا،بل بالاعتماد على بعض القوى المحلية من الاقليات العرقية والمذهبية لتنفيذ هذا المخطط (٧) . وكان من ابرز هذه القوى الأسرة المعنية الدرزية،والأسرة الجانبولاطية الكردية في كلس واعزاز . ولقد وسّعت الاسرة الأخيرة من دائرة نفوذها،بحيث أنيطت ولاية حلب في مطلع القرن السابع عشر م/الحادي عشر هـ آنذاك،حسين باشا جانبلاط،الذي نتيجة لتلكئه في الانضمام الى حملة الوزير سنان باشا جغال زاده ضد الشاه عباس الاول (٩٩٦ هـ / ١٥٨٨ م — ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م) أمر الوزيرُ المذكور بقتله في بلدة وان التركية سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م (٨) .

---

(٧) حول هذه الخطة انظر :

Salibi, K. "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli" Arabica, Vol. xx, (1973), p. 33.

انظر ايضا لنفس المؤلف ، « فخر الدين المعني الثاني والكثرة اللبنانية » ، ابحاث القومية اللبنانية ، منشورات جامعة الكسليك ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ — ١١١ .

لمزيد من التفصيلات حول هذه الخطة انظر ايضا ما نشره الأب بولس مراد :

١ — "فخر الدين الثاني وعلاقته بفردناند الاول وفرنسا الثاني امير تسكانيا" ١٦٠٥ — ١٦٢١ ، حريصا ١٩٣٨ .

٢ — وكتابه الثاني "فخر الدين المعني امير لبنان وفردناند الثاني امير تسكانيا" ١٦٢١ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٨ .

(٨) حسين بن جانبلاط ، كردي الاصل،كان في ابتداء امره من الطائفة العسكرية المعروفة باسم المتفرقة،ثم خَلَف والده في امارة كلس،وتدرّج في المناصب الى ان أوكلت اليه حلب،ولكنه تلكأ في مساندة الوزير سنان باشا في حملته القاضية على بلاد فارس ، وكان من نتيجة ذلك ان سنان باشا أمر بقتله في بلدة وان التركية في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م . البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ١٧١ . انظر المحبي ، خلاصة ، م ٢ ، ص ٨٤ — ٨٧ .

أما سنان يوسف باشا المعروف باسم جغال زادة ، فلقد تربى في القصر السلطاني ، وتولّى عدة مناصب،منها ولاية ديار بكر في سنة ٩٩١ هـ / ١٥٨٣ م،كما تولى بعد ذلك بلاد وان وأرضروم وبغداد . وفي سنة ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧ م تولّى بلاد الشام لبضعة اشهر . في سنة ١٠١٤ هـ / ١٦٠٥ م ، اوكلت اليه مهمة قيادة الجيوش العثمانية ضد بلاد فارس ، وكانت وفاته في نفس العام في ديار بكر ؛ انظر ترجمة حياته في محمد ثريا ، سجل عثماني ياخود تذكرة مشاهير عثمانية ، اسطنبول سنة ١٣١١ ، م ٣ ، ص ١١١ . كذلك انظر محمد بن جمعة المقدسي (ت ح ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م) ، الباشات والقضاة ، نشره صلاح الدين المنجد مع نُصّين آخرين باسم "ولاة دمشق في العهد العثماني" ، دمشق ، ١٩٤٦ م ، ص ٢٦ .

ولمـــا وصل خبر مقتله الى حلب ثـــار ابن اخيه علـــي جانبلاط، « ورفع علـــم العصيان،وجمَعَ الطائفة الذين يقال لهـــم السكبانية حتى صار عنده منهم مـــا يزيد على عشرة آلاف،ومنع مـــال السلطنة (٩) » .في اثناء ذلك كانـــت قوات الدولة العثمانية مشغولة في حـــرب ضروس مع امبراطورية النمســـا،كما ان قوات الجلالية الخارجة عـــن طاعة السلطان كانت تصول وتجول فـــي بلاد الاناضول ؛ وكان قـــد سَبَق ذلك ان القوات العثمانية قـــد عادت خاسرة من حربها ضد الشـــاه عباس . في مثل تلك الظروف عرض الزعيـــم التركماني الاصل السنّي المذهـــب يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) صاحب عَكَّـــار ، والذي كان يُوَلَّى من حين لآخر بـــلاد طرابلس ، خدماته على السلطان،عَلَـــى « ان يكون اميرا على عساكر بـــلاد الشام،على ان تكون جمعيّته بحماة،ويلتـــزم بازالة علـــي بك المذكور عن حلب » . فلما جـــاءه الإذن السلطاني بذلك،أرسل يوسف باشا الـــى العساكر العثمانية في دمشـــق وفي غيرها من القلاع للاقامتـــه عند حماة . وعند التقاء الجانبين تَمكَّن علـــي بك ابن جانبلاط بسهولة تلفت النظـــر من الحاق الهزيمة بالعساكـــر العثمانية بقيادة يوســـف باشا سيفا،الذي تَوَجَّه الى طرابلس الشـــام ليهرب منها باموالـه الى جزيرة قبرس،ومنها الى حيفـــا،ملتجئا الى الامير احمـــد الحارثي . ومن هناك عـــاد الى دمشق ليهرب منها الى طرابلس،مقـــرّ سلطته .

ولحسن الحظ يتوافر لدينـــا نَصّان لشاهِدَي عيان لتلـــك الاحداث . صاحب النص الاول،ويعرف باســـم مصطفى بن جمال الدين ابـــن كرامة،

---

(٩) البوريني المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٧١ ، لاحظ تعريف البوريني للسكبانية حيث يقول : « والسكبانية عبارة عـــن طائفة كان وضعهم ان الواحد منهم يحمل البندقية على ظهره ويقـــود الكلب في ساجوره،ويمشي امـــام الامير او الكبير حين يسير الى الصيد . وهو لفـــظ فارسي ماخوذ من ســـك ، فاما سك فهو الكلـــب بلغتهم،واما بـــان فهو بمعنى الحامي،اي حامي الكلـــب » م ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ وكانوا يشكلـــون وحدة بارزة في فرقـــة الانكشارية.انظـــر :

Huart, CL. "Segban" E. I. , Vol. IV, pp. 203 - 4.

Gibb and Bowen, Islamic Society and the West, Oxford University Press, Reprint, 1963, vol. I, part I, pp. 59 - 61, p. 315.

من اهالي طرابلس الشام؛كتب تعليقة حول ما اصاب مدينته نتيجة لحركة علي بن جانبلاط ؛ والنَّصّ الثاني للمؤرخ الدمشقي الشيخ حسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) الذي يصف لنا دقائق تلك الاحداث ومجرياتها كما كان يراها من دمشق . والنَّصّان يكملان ويُعضُدان بعضهما البعض،ومن هنا جاءت ضرورة نشرهما معاً، حيث انهما ما زالا مخطوطين .

والذي يُهمّنا هنا ان التعليقة التي بين ايدينا تُصوِّر لنا مشاعر احد ابناء طرابلس،قاعدة السُنَّة،ضمن اطار من الاقليات الاسلامية والمسيحية ، كما انها تبين مدى الولاء القوي من جانب الرعية للسلطان،حيث أنَّ مَن عصاه « قد اطاع الشيطان » . وتُصوِّر لنا كذلك نظرة اهالي طرابلس ليوسف باشا سيفا ؛ وهي نظرة احترام، لأنّ معظم المصادر المتداوَلة بين ايدينا والمعروفة لدينا ، **كتاريخ الازمنة** للبطريرك اسطفان الدويهي (ت ١٦٩٩ م) **وتاريخ الامير حيدر احمد الشهابي** (ت ١٨٣٥ م) **واخبار الاعيان في جبل لبنان** ، لمُطَرّس الشدياق (ت ١٨٦١ م) ، قد اعتمدت المؤرخ السنّي ، الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) الذي كان معبّراً عن وجهة نظر فخر الدين المعني الدرزي المتعاون مع العناصر المسيحية، خاصّة المارونية منها ؛ بينما يوسف باشا سيفا ، كان سنّياً ينعم بثقة ودعم الدولة العثمانية له ، رُبّما الى درجة ان السكان كانوا ينظرون اليه على انه رجل الدولة ووكيلها (١٠) . كما ان هذه التعليقة تُبيّن

---

(١٠) حول مكانة اسطفان الدويهي وطنوس الشدياق في مدرسة التاريخ اللبناني الماروني انظر :

Salibi, Kamal, Maronite Historians of Medieval Lebanon, Beirut, 1959, Ibid., "The traditional Historiography of the Maronites", Historians of the Middle East, edited by Bernard Lewis and P. M. Holt, Oxford University Press, 1967, pp. 212 - 225.

انظر في نفس الكتاب مقالة
A. H. Hourani, "Historians of Lebanon" pp. 226 - 245.

حول اهمية دور اسرة آل سيفا في التاريخ المحلي ومن علاقاتها مع القُوى المحلّية

لنسا ان قسما من اهالي طرابلس الشام كانوا قد هُجّروا مدينتهم وركبوا البحر،لعلمهم ان القوى المهاجمة هي قوى عاصية خارجة على طاعة السلطان ، خاصة وان قسما منها كان درزيا بقيادة فخر الدين المعني . ومما زاد في حراجة موقفهم،ان ذلك جاء في الوقت الذي كانت فيه الدولة مشغولة في اجتثاث الجلاليّة،ومشتبكة في حرب مع النمسا ، بالاضافة الى هزيمة العثمانيين امام الشاه عباس الاول،وما ترك ذلك من خيبة ومرارة . فلم يعد لدى سُكّان طرابلس من حيلة الا الهروب الى اقرب الجزر .

يُعرّف صاحب هذه التعليقة نفسه بايجاز كبير حيث يصف نفسه بقوله : « ... العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة ». وعند العودة الى مخطوط **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر** (١١) ، لنجم الدين محمد الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) والقسم غير المنشور من **تراجم الاعيان من ابناء الزمان** (١٢) ، للحسن بن محمد البوريني ، (ت ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، **وخلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر**، لمحمد امين الدين المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م) ، **وشذرات الذهب في اخبار من ذهب**،لعبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) فاننا لا نعثر على ذكر لهذا الشخص . زيادة على ذلك فان خير الدين الزركلي وعمر رضا كحالة لا يذكرانه في معجميهما . واما الرحالة رمضان بن موسى ابن احمد المعروف بالعطيفي الدمشقي الحنفي (ت ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م) الذي زار طرابلس الشام سنة ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٤ م فانه لا يذكر اسم

- الاخرى انظر مقالتي الدكتور كمال الصليبي :

Kamal S. Salibi,"Northern Lebanon Under the Dominance of Ganb", Arabica, Vol. XIV, (1967), pp. 144 - 166.

"The Sayfas and the Eyalet of Tripoli 1579 - 1640", Arabica, Vol. XX, (1973), pp. 25 - 52.

(١١) مخطوط المكتبة الظاهرية رقم ٤١ ، الاوراق ١٦٨ — ٢١٧ .

(١٢) المكتبة الوطنية،بنّسا Cod. Arab. 1190 Mixt 346

هذا الشخص من ضمن العلماء الذين قابلهم أثناء اقامته في طرابلس (١٣).

الا أن الشيخ والقطب الصوفي عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) يذكر في **التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية**، التي دوّن فيها اخبار رحلته في سنة ١١١٢ هـ / ١٧٠٠ م الى طرابلس ، أنّ من بين من لقيه « ... الشيخ الفاضل والبارع الكامل الشيخ علي بن كرامة »، ويذكر في مكان آخر أن علي بن كرامة قد زاره : « فزارنا في هذا اليوم أيضا عدّةٌ من الأماثل المكرّمين والعلماء المدرّسين، منهم الشيخ الفاضل حاوي الفضائل الشيخ علي بن كرامة » . ويضيف ان عليًّا هذا قد زاره مرة ثالثة (١٤) . وعند العودة الى كتاب **تراجم علماء طرابلس وأدبائها** لعبد الله حبيب نوفل (ت ١٩٤٧ م) ، لا نجد ذكرا لمصطفى بن جمال الدين بن كرامة هذا، بل لافراد آخرين كعمر بن مصطفى أبي اللطف (ت ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م) ومصطفى بن عبد الحميد كرامة (١٥) . واذا ما رجعنا الى التعليقة نفسها فاننا نلمس، من ثناياها ومن لغتها ، أن مصطفى هذا كان على مستوى جيّد من حيث تَمَكُّنه من اللغة العربية ، وان له ولدا اسمه عمر ، وَقَعَ معه في الاسر ؛ وما عدا ذلك فان المعلومات التي يوردها عن نفسه تكاد تكون شبه معدومة .

---

(١٣) انظر نص الرحلة مع الدراسة التي قدّم لها بها ناشر الرحلة

Stefan Wild "Al-Utaifis Journey to Lebanon in 1043/1634"

مجلّة الأبحاث ، بيروت ، مجلد (٢٣) سنة ١٩٧٠ ، ص ١١٢ ـ ١٢٢ .

لسوء الحظ عند إعداد هذه الدراسة لم أتمكن من الاطلاع على نسخة رحلة يوسف المحاسني (ت ١٠٥٣ هـ / ١٦٤٣ م) ، "المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية"، المحفوظة في مكتبة جامعة اسطنبول تحت رقم ٤٣٢٩ .

(١٤) انظر النابلسي ، الشيخ عبد الغني (ت ١١٤٣ هـ / ١٧٣١ م) ، "التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية"، حققها وقدّم لها مريرت بوسة ، بيروت ، ١٩٧١ م ، ص ٤٩ ، ص ٧٦ ، ص ٨٧ .

(١٥) نوفل ، عبد الله حبيب ، "تراجم علماء طرابلس وادبائها"، مطبعة الحكمة ، طرابلس ، ١٩٢٩ م ، ص ٣٥ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

ان هذه التعليقة المصنَّفة ضمن مجموعة Levinus Warner (١٦) ، (ت ٢٢ حزيران ١٦٦٥ م) ، قنصل هولندا في اسطنبول ، مسجَّلة في مكتبة جامعة ليدن تحت رقم (١) Cod. Or. 944 (١٧) ، وهي تقع في اربع ورقات،ومجموع أسطُرها مائة واربعة وسبعون سطرا مكتوبة بخط اعتيادي ، ومدونة بتاريخ ١٠١٦ هـ / ١٦٠٦ م ، وعلى الأرجح انها النسخة الأمّ،حيث لم أعثر على اية اشارة اخرى عنها في بقية فهارس المخطوطات المنشورة،وعلى الغالب انها وصلت فارنر باسطنبول عن طريق حلب،بواسطة محمد بن عمر العرضي الحلبي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) ، الذي كان قد اتصل بفارنر،وكان يشتري له المخطوطات العربية ويُزوِّده بها (١٨) ، او عن طريق فردريك اخي

---

(١٦) ليفنوس فارنر Levinus Warner ، من طلبة جامعة ليدن،درس اللغات الشرقية فيها ، وسافر الى اسطنبول سنة ١٦٤٥ م . وفي سنة ١٦٥٥ م عُيِّن قنصلا لهولندا في العاصمة العثمانية ، وبقي في ذلك المنصب الى حين وفاته في ٢٢ حزيران سنة ١٦٦٥ م . واثناء اقامته الطويلة تلك تمكَّن من شراء عدد كبير من المخطوطات العربية والفارسية والتركية والعبرية التي اوصى بها قبل وفاته لمكتبة جامعة ليدن،لتكون بذلك النواة الاولى لمقتنيات تلك المكتبة من التراث الشرقي . حول حياته واقامته باسطنبول انظر مقالة

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum of Leiden University Library" in Levinus Warner and His Legacy, E. J. Brill, Leiden, 1970, pp. 1 - 31.

(١٧) انظر فهرس مكتبة جامعة ليدن Voorheove, P.

Handlist of Arabic Manuscripts in the Library of the University of Leiden and Other Collections in the Netherlands, in Bibliotheca Universitatis, Lugduni Batavorum, Leiden, 1957, p. 361.

(١٨) محمد بن عمر العرضي (ت ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م) نسبة الى بليدة العرض في سورية الشام من اعمال حلب ، من اسرة حلبية معروفة بالعلم ؛ ولي القضاء بحلب،وتولى افتاء الحنفية فيها لمدة سنتين ثم سافر الى اسطنبول حيث لم يستمرىء الاقامة هناك،وبعد عودته من العاصمة العثمانية نجده يتولى افتاء الشافعية بعد وفاة اخيه . ونعثر على رسالة منه لفارنر،ونظرا لاهميتها فاننا نورد فصها :

« حضرة بكسر مطارد وواحد الفرائد (نلاحظ انه يكرر مثل هذين التعبيرين حيث يورد له المحبي نصا يذكر فيه ... « حضرة شيخ الاسلام ودرة تاج الملك

فارنر، الذي كـــان قد عمل لفترة قصيرة كقنصل لهولندا في حلـــب (١٩) ، ممّا يدلّ علـــى أن فارنر كان على اتصال بحلـــب ، على مستوى القنصل التجاري ، وكذلك على مستوى تُجّـــار المخطوطات التي تُشِف بشرائها .

تعليقة مصطفى بـــن جمال الدين بن كرامة حول أحـــداث سنة ١٠١٥ هـ / ١٠١٦ هـ ١٦٠٦ م /١٦٠٧ م .

= ونص الختام بكـــر عطارد العلم وثاني الفرقد » ... خلاصـــة ، م ٤ ، ص ٦٢ ، ايلجي (السفير) بيك المكـــرم لا زال مدعي العلم لـــه مسلم ، تفاوض جانبه الترحاب (كـــذا النص) . هو ان الواصل اليكم من كتـــب المرحوم كاتب چلبي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧ م) ستة كتـــب ، نزهة الخاطر للكاتبي،وهـــو كتاب جليل مشتمل على اشعار عربيـــة وفارسية،وثمنه اثنـــا عشر غروشا،والمجلد الاول من تذكرة ابـــن حمدون وثمنه ستة عشر غروشا،وشرح شواهـــد التلخيص (لبدر الدين الغـــزى) وثمنه اربعة غروش ونصف،وشرح مقامات الحريري ، المتوســـط الشروشي وثمنه ثلثمائـــة عثماني،وجزء من العقد لابن عبد ربـــه وثمنه غرش واحـــد،وشرح العبدونية وثمنـــه غرشان،فالمجموع خمســـة وثلاثون غرشا وثلثمائة عثماني،وايضا تاريخ البناكتي (محمـــد بن سليمان الاشعري (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) ، كتاب روضة اولي الالباب في التاريخ، وتاريخ ختاي،وتاريخ خسروان،ورسائل الخوارزمي، فوهدنا الدلالون بهمـــا،يكون معلوما لكم،والفتون ان شاء اللـــه نفصلها والسلام . من الفقير محمـــد العرضي ».ويضيف في حاشية على تلـــك الرسالة ما يلي : « ولا تؤاخذونا باخلاف الوعـــد بالمجيء اليكم يـــوم الاحد الماضي،فانه صار لنا مانع بسبل موانـــع.وتبلغ شوقنا الى المربـــوط في الدار بمقتضى تسميتكم نقولا والســـلام . وقد اشترينا نحن لانفسنا تاليفـــا لجدّنا ابن الحنبلي (رضي الديـــن) بمائتي عثماني فتفضلوا بها لنـــا والسلام وان شاء اللـــه عن قريب نائيكم » . من هـــذا النص نلحظ بوضوح مـــدى العلاقة الحميمة التي كانت تربط الاثنين . انظـــر النجاجي ، شهاب الدين احمـــد بن محمـــد بن عمر (ت ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م) ريحانة الألبّـــا وزهرة الحياة الدنيـــا ، ٢ م ، تحقيق عبـــد الفتاح محمـــد الحلو ، القاهرة ، سنة ١٩٦٧ م ، م ١ ، ص ٢٧٤ ـــ ٢٧٨ . المحبـــي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٨٦ ـــ ١٠٣ ، البغدادي ، اسماعيل بن محمـــد أمين الباباني (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ، هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثـــار المصنفين ، م ٢ ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ ؛ انظر ايضـــا : اللوحة رقم ١٢ ، المنشورة صورة لها كملحق لكتـــاب Levinus Warner and His Legacy,

(١٩)

Drewes, G. W. J., "The Legatum Warnerianum", in Levinus Warner and His Legacy P. 16.

رواية تتضمن ذكر أسرنا عند الكفّار والسبب الداعي للفرار وما احل الله بالباغي من الويل والدمار ، والحمد لله الملك القهار والصلاة والسلام على النبي المختار وعلى آله وصحبه السادة الاخيار آناء الليل واطراف النهار صلاة تمحو عن قائلها الاوزار .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبي الله « ونعم الوكيل » (٢٠) . الحمد لله الذي وعد الصابرين المراتب العلية والهمهم الشكر فنالوا به اعظم مزية ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع عنّا كلّ بليّة ، وتورثنا سعادة ابدية سرمدية ، واشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله القائم بأعباء الرسالة وامر الرعية ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه المنعوتين بمكارم الاخلاق والصفات البهية صلاة دائمة متوالية يتضاعف ثوابها كل بكرة وعشية . اما بعد فيقول العبد الفقير مصطفى بن جمال الدين المدعو بابن كرامة أجاره الله من الزلل والندامة:

لما كان بتاريخ أوائل شهر صفر سنة خمس عشرة بعد الالف وقد حصل على الديار الطرابلسية ما هو ليس بقابل للوصف ، ورد أمر من نال الله في ارضه القائم بسنّته وفرضه المؤتمن على حقّه واليد المبسوطة على خلقه ، من احتباه الله لوزاثة الرسالة وجعل طاعته فريقا بين الهدى والضلالة لا دنيا الا به ومعه ولا دين الا لمن والا (ه) وتبعه ، كافل الأمّة وراعيها وسايس الملّة وحاميها ، نظام الجملة وجلاء الغمة ورباط النعمة ، من عصى السلطان فقد اطاع الشيطان ، من شايعه حمد في يومه وغده ورعى من العيش في ارغده ومن نابذه صار في خسران وعانقه الخذلان ، جعل الله رايته العليا وآيته الكبرا ، ما تسابح القمران (٢١) ، وتوالى الملوان (٢٢) ، واستقر في مكانه جبل لبنان .

---

(٢٠) من سورة آل عمران آية رقم (١٧٣) .

(٢١) القمران : الشمس والقمر ؛ انظر جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ ه ١٢١١ م) ، لسان العرب ، ١٥ م ، بيروت ، ١٩٥٥ م ، م ٥ ، ص ١١٢ .

(٢٢) الملوان ، الليل والنهار، وقيل طرفا النهار ، ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٥ ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢ .

بعد أن أنهي لسدّته،لا زالت الايام طوع ارادته،أنّ علي بن جانبلاط (٢٣) بولاد بغى واستغنى فطغى وركب اضاليل الهوى وابابيل المنى وأحاديث النفوس الكواذب ووساوس الآمال الخوابث ، جال في توهمه وشقائه وسفاهة عقله وقلّة رايه،ودخل في ظلمة المعصية وخرج من نور الطاعة وركب المركب الذي لا بد ان يترجل راكبه بل ينخذل فارسه ، مَدَّ يدًا قصيرة ليتناول غاية بعيدة ، أنسلّه عماه وزلّت به قدماه ، امتطى ظهر الاغترار واداع دواعي البوار ، اوقد نارا للحرب بدر منها بوادر الفتنة وهززت على يده شقاشق (٢٤) المحنة ، فلما

---

(٢٣) علي بك ابن الامير احمد ابن جانبلاط الكردي ، ابن اخي حسين باشا جانبلاط ، انابه عمه في حلب عند خروجه للقاء الوزير السردار سنان باشا جنال زادة، وعندما وصله نبأ قتل عمه بامر الوزير المذكور رفع راية العصيان في حلب، وكان جيشه المكوّن من عناصر السكبان الهاربين من الخدمة العسكرية يزيد على عشرة آلاف شخص . ومُنع الوالي المعيَّن على حلب من الدخول اليها ، وسار من حلب باتجاه الجنوب حيث هزم العساكر العثمانية بقيادة يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) قرب حماة ، سنة ١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م وغنم اشياء كثيرة من معسكر العساكر الشامية ؛ وبعد هذا الانتصار استدعى فخر الدين الذي اجاب دعوته وانضم اليه في حركة العصيان،فارسلا واحدًا بالطاق يوسف باشا سيفا باستثناء قلعة طرابلس ، وخرَّبا بعلبك وتوجها باتجاه دمشق حيث هزما عساكرها للمرة الثانية في نواحي المزة،ومن هناك اتجها عساكرهم لتهاجم دمشق من جهة المزة،وبدأ افراد السكبانية والدروز بنهب الاحياء الخارجية لمدينة دمشق ، ولم يرفع الحصار الا بعد ان دفعت له اهالي دمشق مائة وثلاثة وعشرين الف غرش . وفي طريق عودته مَرَّ على حسن الاكراد وجرت اتصالات له مع يوسف باشا سيفا ، ادت الى عقد مصاهرة ما بين ابن جانبلاط ويوسف باشا سيفا ، ومن هناك عاد الى حلب فارسل السلطان له الوزير الثير مراد باشا ، لأنه (أي علي بك) كان قد قارب أن يملك البلاد بالاستقلال ، وفي القتال الذي نشب قرب مرعش نجا علي بك جانبلاط براسه الى مدينة حلب ومنها الى ملاطية،ومن هناك قصد اسطنبول حيث عفا عنه السلطان وولاّه سكرية طمشوار ليُقتَل فيما بعد حوالي ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ . انظر ترجمته في البوريني ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٧١ — ٢٩١ ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٣ ، ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(٢٤) شقاشق : جمع الشقشقة وهي « لهاة البعير،ولا تكون الا للعربي من الابل » « وقيل هو شيء كالرئة يخرجها البعير من فيه اذا هاج » . ابن منظور ، لسان العرب ، م ١٠ ، ص ١٨٥ .

تقررت احواله لديـــه،لا زالت حمائم النصر ترفرف بين يديـــه ، عيّن عليه سردارا كافل المملكة الطرابلسيـــة (٢٥) ، لا برحت مـــدا الايام من الاغيار محمية ، أمـــير الامرا الكرام كبـــير الكبرا الفخام : حضرة يوسف باشا بـــن سيفا (٢٦) ، أسعفه اللـــــه في أموره اسعافا وادام اللـــه أيامه

---

(٢٥) المملكة الطرابلسية : كانت تشكل احدى ممالك ونيابات بلاد الشام في العهد المملوكي • حول هـذه المملكة انظر ابـا عبد اللـه بن محمد المعروف بشيخ الربوة الدمشقي الانصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م) ، نخبة الدهـر في عجائب البـر والبحر ، تحقيق أ . مهران ، بريل ، ليـدن ، ١٩٢٣ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٩ ؛ كذلك احمـد بن علـي القلقشندي ، (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ، صبح الاعشى في صناعـة الانشا ، القاهرة ، م ٤ ، ص ١٤٢ ــ ١٤٩ • حول هـذه المملكة في اواخر العهد المملوكي راجع فرس الديـن خليل بن شاهين الظاهـري ، (ت ٨٧٣ هـ / ١٤٦٨ م) ، زبدة كشف الممالك وبيـان الطرق والمسالك ، نشره بولس راويس ، بـاريس ، ١٨٩٤ م ، ص ١٣٣ . أمـا فيما يتعلق بالحياة الثقافية في طرابلس فـي العصور الوسطى ،فتراجع المـادة المجموعة عند عمـر عبد السلام التدمري ، الحياة الثقافية في طرابلس الشـام خلال العصور الوسطى ، بـيروت ، ١٩٧٢ ، هذا بجانب المـادة المتوافرة في كتاب اخبار الاعيـان في جبل لبنـان ، ٢ م لطنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) الذي حققه فـؤاد أفرام البستاني ، بـيروت ، ١٩٧٠ م ، م ١ ، ص ١١ . كذلك انظـر

FR. Buhl, "Tarabulus" E. I. vol. iv, P. 660

وترجمة المقالـة نفسها في دائرة المعارف الاسـلامية ، م ١٥ ، ص ١١٧ ــ ١٢٠ ؛ أمـا مصطلح « كافل » فهو مرادف لمصطلح « نائـب » وهو من القاب كبار النواب كنائب دمشق ، راجـع القلقشندي ، المصدر ذاتـه ، م ٤ ، ص ٤٥٣ .

(٢٦) يوسف باشا سيفا (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٥ م) ، زعيم سُنّي مـن أصل تركماني او كردي ، كانت اسرتـه من القُوى المحلّية البارزة في منطقـة عكار ، واوكلت اليه ولايـة طرابلس الشام اكثر من مـرة ؛ عرف عنه زعامته للجناح اليمني ضـد الجناح القيسي بقيـادة فخر الدين المعني ، ربطتـه علاقات المصاهرة مع المعنيين والجنبلاطيين . حول حياته انظـر : البوريني ، تراجم الاعيان من ابنـاء الزمان ، انظـر النص المنشور ادناه . المحبـي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٤٧ ــ ٤٩ ؛ ص ٥٠٣ ، الدويهي ، البطريرك اسطفان (ت ١٧٠٤ م) ، تاريخ الازمنـة ، نشرة الاب فرديناند توتل اليسوعي ، المطبعـة الكاثوليكية ، ١٩٥١ ، ص ٣٢٠ ، كذلك انظـر مقالـة

Salibi, K., "The Sayfas and the Eyalet of Tripoli, 1579 - 1640", Arabica, vol. XX (1973), PP. 25 - 52.

الزاهرة واعلا مقامـــه في الدنيا والآخـــرة . بولايته الرضية تنام وهم آمنـــون ويصحون (ا أ) بوجوده مسرورون ، نفوسهـــم في ظلال السكون وادعة ، وفي رياض الامـــن راتعة . فتوَجَّه امتثالا لأمـــره المطاع الواجب الاتباع نفذه اللـــه في سائر الاقطار والبقاع ليخرجه مـــن محروسة طرابلس وجمع العساكر وحـــثّ بالطلب ، هدى الى اجهاد النفس فـــي المسالك ووقفهـــا على سبيل المراشـــد والمناجح (٢٧) : بين ثُغر يُسَدّد وعقد يُشَدّ وشتات يُجَمّـــع وخَرْق يُرقَع وذمام يؤكّد وعهـــد يؤيّد . فلما بارز في عاشر شهر ربيع خارج حمـــاة كاتب (ا) بن جان بـــولاد لبعض امراء العرب (على الهامش الاعراب) علـــى مبلغ فأركبه هواه ، هيهات مـــا اضلّ مِثْلَ ذلـــك الشقيّ من راي واسواه ، تَيَمَّن الامانـــي الكاذبة وظن الظنون الخائبة ؛ فلمـــا تلاقى العسكران وتصادم الجيشـــان واسلفّ الخيل والرجـــل وامتلأ الحَزَن (٢٨) والسهل وبرقت الابصـــار بشعاع السيوف وسفرت رســـل الحتوف بين الصفوف ودار كأس المنون دهاقا وعاد لقـــا الفريق بالفريق عناقا ، وصـــار الفارس اقرب من مثلّـــه والسيـــف ادنى للورود من حبلـــه ففي ذلك المحل فـــرّ الشقي المرصود بالاموال وزيّن لـــه الشيطان فعله وحثّه بالاستعجال وصوّر لـــه الاماني الفاسدة والآمال ، فلما شاهـــد فراره العساكر صار راي كـــل لصاحبه مغاير وعاد (ت) السواعد غـــير مساعد (ة) والاعضاء غير معاضد (ة) . ولم يزل صاحب الدولـــة والسعادة ، بلّغه اللـــه الحسنى وزيادة ، ثابت الجنان لا تهولـــه (جاءت يهوله) صدمات الفرســـان ، وصار كلما حَرَّض من العسكر جحفلا ، يُظهِـــر ضعفا وتجلجلا ، فعنـــد ذلك تطايرت من حوله العساكر قاصدين حمـــاة ولم يمكث معه الا الذي ربـــاه في حجاه ، فسار عند ذلك صاحب الدولة وقـــد ادخر سعيه ليوم لا ينفـــع الانسان قوّتـــه ولا حوله والسما تحسد الارض بوطيه لهـــا في سيره والنجوم تَوَدّ لاجل الثواب لـــو خرّت مع سنابك خيله ، ودخـــل محروسة طرابلس في

---

(٢٧) المناجح جـاء في اللسان : « وانجح الرجل ، صار ذا نجح فهـو منجح من قوم مناجح ومناجيح » ، لســـان العرب ، م ٢ ، ص ٦١١ .

(٢٨) الحَزَن : « مـــا غلظ من الارض في ارتفاع » ، لسان العرب ، م ١٣ ، ص ١١٤ .

خامس عشر شهر ربيع الاول، وانسرّ الناس بقدومه لأنّه عليه المعوّل .

ولما ابن جان بولاد طاوع شيطانه اذ اضلّه وزلّ معه حين استزلّه أبى الّا امتداد عنانه في الانقياد لشيطانه ، واستنفاذ قواه في الاستسلام لهواه ، فدعا ابن معن (٢٩) فاستجاب لدعائه واسرع لندائه، وسوّل لهم الشيطا (ن) تسويلا واستغواهم تَغَرُّرا وتضليلا وحَبّب اليهم العناد حتى شيط بلحمهم ودمهم وكره اليهم الرشاد حتى القوه وراء ظهورهم وصافح بينهم (ا ب) فغادرهم رهينا وقارنهم وسا (ء) قرينا، ولم يزل يحسم في اسفاح الشحنا (ء) وهم له يجيبون حتى وصلوا ظاهر طرابلس ونزلوا بأرض الجون (٣٠) ، جعلوا يغيرون وينشرون

---

(٢٩) فخر الدين المعني (ت ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٥ م) ، درزي المذهب ، كان زعيم الجناح القيسي في بلاد الشام ؛ بنى جيشا قويا من العناصر الهاربة من الخدمة التي كانت تعرف بالسكبانية ، استفاد من علاقاته باوروبا عن طريق الموارنة وشجع التجارة مع اوروبا فازدهرت موانىء لبنان، خاصة صيدا ، نشطت الزراعة في عهده، خاصة زراعة شجرة التوت لتربية دودة القز ، حارب بني سيفا ، وبنى القلاع وشحنها بالجنود ؛ تم القضاء عليه في عهد السلطان مراد الرابع ، من اجل المزيد عن حياته انظر احمد بن محمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م) ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، تحقيق اسد رستم وفؤاد البستاني ، بيروت ، ١٩٦٩ ؛ المحبي ، خلاصة ، م ٣ ، ص ٢٦٦ — ٢٧١ ؛ عيسى اسكندر المعلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٦ ؛ الاب بولس قرألي ، فخر الدين المعني الثاني امير لبنان : ادارته وسياسته ، ١٥٩٠ — ١٦٣٥ ، حريصا ١٩٣٧ ؛ لنفس المؤلف ، لبنان والدولة العثمانية في عهد فخر الدين المعني الثاني ، مطبعة مصر الجديدة ، ١٩٥٢ ؛ انظر ايضا محاضرة كمال الصليبي : « فخر الدين المعني الثاني والفكرة اللبنانية » ، ابعاد القومية اللبنانية ، ص ٨٥ — ١١١، ولنفس المؤلف .

"Fakhr al-Dīn" E. I. , vol. ii, PP. 749 - 51.

(٣٠) الجون : يفيد معنى الزاوية ويذكر عادة مضافا الى عكار ، جون عكار ، وفي سنة ١٥٨٤ م ، نُهبت الخزنة المصرية التي كانت في طريقها الى اسطنبول في ذلك الموقع ، مما دعا الدولة العثمانية الى تجريد حملة على تلك المنطقة كان من نتائجها ضرب الزعامات في جبل لبنان، خاصة الزعامة المعنية . حول هذه الحادثة انظر ، الدويهي ، اسطفان ، تاريخ الازمنة ، ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، الشدياق ، طنوس ، اخبار الاعيان في جبل لبنان ، م ١ ، ص ٦٧ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٨ ؛ حول معنى كلمة جون ، انظر فريحة ، انيس ، اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها ، جونية ، ١٩٥٦ م ، ص ٩٧ .

من الفتن مـــا ينشرون،لا عن الدما (ء) كَفّوا ولا عـــن المظالم كَفّوا ، يا الذئب بالقياس اليهـــم الا من الضالحين ولا الضَحّـــاج في العراق منهم الا أول العادلين ولا فرعـــون في بني اسرائيل اذا قابلته بهـــم الا من المقربين ، مـــا تركوا للرعايا فضة الا فَضّوهـــا ولا ذهبا الا ذهبوا بـــه ولا ضيعة الا اضاعوها ولا فرســـا الا افترسوه ، توالت مظالمهـــم وظلامهم واتّصلت غائمهـــم وغُمّهم ؛ عَيَّنوا درويش بن جان بولاد (٣١) مع شرذمة هي فراش النار وأوباش الامصار فتتابعت اليـــه كلاب الغارة الشموا (ء) وتعاوت لديـــه ذئاب الفتنة الصمّا (ء) . دخل طرابلس في اواخـــر شهر ربيع ، فالاعيان من اهلهـــا دخلوا السفن والبعض آوى (جاءت آوا) الى حصن منيـــع دخلها بمن لفّ لَفّيته وصافح علـــى الضلال لكفته من أشياع الغواية واتبـــاع الغباوة اولئك الكلاب العاوية والعصبـــة الضالة الباغية،لا يقيمون لـــه وزنا ولا يمتثلون له اذنا وانمـــا صار لهم سُلّما الـــى الاموال المستهلكة والموارد المُرْدِيَـــة المهلكة . وفي صبيحة نهـــار السبت رابع عشرى ربيـــع سافر بعض المراكب فبكـــت لمصابهم الارض والكواكب قاصديـــن الجزيرة (٣٢) والناس تبكـــي بأدمع غزيرة،فلما أسفر نهار الاحد وكان يـــوم يشيب فيه لهوله الغـــراب والولد ، غلايين (٣٣) ،

---

(٣١) درويش بـــن جان بولاد : يُعَرّفـــه البوريني بقوله،درويش بك ابن عـــم علي بك وانـــه أخذ مدينة طرابلس الشام لكنه لـــم يتمكن من احتلال القلعة التي تحصن فيها مملوك يوســـف باشا سيفا ، الذي كان يعرف ايضا باســـم يوسف ، أنظر النص المنشـــور ادنـــاه .

(٣٢) المقصود بالجزيرة هنـــا جزيرة قبرص ؛ أنظـــر نص البوريني المنشور ادنـــاه والملاحظات المدونـــة عنها في الهامش .

(٣٣) غلايين : جمع كلمـــة غليون التي هي تحريف لكلمة galleon, galion الانجليزية و galeone الايطالية ، وهي سفينة أكبر مـــن galley كان يستخدمها الاسبان في التجـــارة خاصة مع ممتلكاتهم في العالـــم الجديد . والجدير بالذكر ان الشيخ عبـــد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس يذكر مـــا يلي « وقد رأينا على حافة الميناـــ أنواع المراكب والسفن،وقـــد ذكر لنا اسماءهم صديقنا الصالح شمس الدين الطرابلسي المذكور ... فاعلم أن أنواع المراكـــب واسمائها كثيرة بلغت عشرين نوعا بعضهـــا يخالف بعضا في الصورة والهيئـــة واسماؤها متعددة لكل اسم يطلق على مركـــب مخصوص لا يتناول المركب الاخر لكنه يطلق على الجميع المركـــب

النصارى علينا اقبلت ، فالعقول طارت والدموع فارت والاصوات قد علت لهذه النازلة الهائلة والفظيعة والحادثة الكارثة ، يا لها من مصيبة لا يداوي كلمها آسٍ ، ولا يسد ثلمها تناس ، ففي لحظة ادركونا ، وضربونا بالكلل الطيّارة فاهالونا وبشَرَر نارهم الهبونا واحاطوا بنا فاخذونا . كان في السفينة من المسلمين مائتا (جاءت ماتا) نفر وسبعة انفار رجال ونساء واطفال ، عبيد واحرار صاروا بأجمعهم في قبضة الحربيين الكفّار الاشقياء الفُجّار بين مقتول، نقل الله روحه الى دار السلام، واسير موثق بين ايدي الكَفَرة اللئام وجريح تَمَثَّل له الاجل فقال لسان حاله هذا اقصى المرام ؛ ما الحيلة وقد حصل القضا (ء) ونزل البلا (ء) وكُتِب الرضى والتسليم ونحن به آمنون لا حول ولا قوّة الا بالله « انا لله وانا اليه راجعون » (٣٤) ، لا نسخط لقدر الله وهو عدل ولا ننكر (١٢) لقضاء الله وهو فصل ومن عنده الفضل ، يولي ويبلي ويسلب ويعطي له الخلق وفعله الحق ، امر الله سبحانه وتعالى لا يقابل الا بالرضى والصبر على ما قضى وامضى ، علما بأن مقاديره لا تجرى الا على موجبات الحكمة وتدبيره لا يخلو من باطن المصلحة وظاهر النعمة .

= والسفينة » . ويعدد عشرين نوعا : منها الغليون. انظر : التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية ، ص ٧٠ — ٧١ ، كذلك

Dozy, R., Supplement aux Dictionnaires Arabes, vol. II, P. 229.

انظر كذلك The Oxford English Dictionary, vol. iv, P. 21.

ونجد أن ابن اياس ، (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) يستخدم هذا المصطلح فيقول في اخبار سنة ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ما يلي : « ثم احضر السلطان قايتباي بالقرب من (الجيزة) المركب الكبير الغليون الذي عمره واصرف عليه نحوا من عشرين الف دينار تارسوا به قبالة المقياس ، وصنعوا له ثمانية مراسي وعلقوا في صواريه القناديل في الاشراط .. » بدائع الزهور في وقائع الدهور ، م ٤ ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٧٦ ؛ انظر ايضا حبيب الزيات ؛ « معجم المراكب والسفن في الاسلام » المشرق ، مجلد ٤٣ (١٩٤٩ م) ، ص ٣٥٥ ، والجدير بالذكر أن الاستاذ انيس فريحة لم يذكره في معجمه ، معجم الالفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٧ ، كما ان الدكتور البير مطلق لم يذكره في معجم الفاظ حرفة صيد السمك في الساحل اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ .

(٣٤) من سورة البقرة ، آية رقم ١٥٦ .

استمرَّينا بذلك الأسر نكابد المشقات والقهر بقلب هلوع ، وروح مروع نبكي على ايامنا الماضيات ونحسد من تقدَّمنا من الاموات . ثم لما تجلَّت عنا غمة الخطوب ودارت لنا بشاير الرضا من المحبوب وانشقت سحابة محنته وتجلّت غمرة كربته وطلعت نجوم ارادته وهطلت سحابة سعادته واذن الله سبحانه وتعالى باخراجنا من الضيق الى السعة ومن الانزعاج الى الدعة ، القى (جاءت القا) الله سبحانه وتعالى الرافة في قلب ذلك العلج النصراني فأمرني بالخروج الى محروسة صيدا في ثامن عشرى شهر ربيع الثاني وطلب فدوى (عني) ومن ثلاثة وعشرين نسمة ضممتهم الي من الاهالي : نساء واطفال اربعة آلاف وثمانمائة ذهبا عال ، فعاهدته على ذلك واسرعت بالذهاب من غير تكاسل ولا اهمال مستجيرا برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه خير صحب وآل مستشفعا مستغيثا متوسلا به في البكور والآصال ، فاعطف الله الكبير المتعال على هذا النضيف قلوب سراة ذي اموال ، اعطونا تلك (جاءت ذلك) العشرة بخمسة عشر الى مضيّ شهرين،فقبلت منهم على ذا الحكم جميع ذلك الثمن ثم قالوا نحن سخينا بمالنا عليك فلا تدعنا نطالبك ، نحيل بكتابك على من بخانياك ؛ فشكرت فعلهم ومدحت فضلهم وقلت هذه المداينة لا اعدها الا انها عطية وهي عندي بمنزلة الهدية وانشا (ء) الله قبل تمام المدة نوصلكم جميع هذه العدة ، ثم اني قبضت تلك (جاءت ذلك) النقود بالتمام والكمال واقبضتها للحربيين فأخرجوا في الحين جميع العيال . فلما شاهدتُ الولد الأعزّ عمر لطف الله به وبفضله له غمر تهالل بني وجوه الانس وكانت قبل عابسة واورقت (جاءت واورق) غصون سرور الفرج بعد أن كانت يابسة . ثم في اوائل شهر جمادي الاول دخلنا محروسة بيروت اقمنا برهة من الزمان . وفي غُرّة شهر شعبان من السنة المزبور (٥) جئنا (٢ ب) الى الاوطان فلاح لنا النجاح وانتشر نوره واومض برق الفلاح ولمعت تباشيره فوجدنا صاحب الدولة والسعادة حضرة يوسف باشا بلغه الله من خيري الدنيا والاخرى ما يشا (ء) دخل الديار الطرابلسية وحكمها ، ومن ايدي الخوارج والبغاة

قد أنقذها ، وقطع عروق البغاة اهل العناد واطلع فيها كواكب السداد . فكانما بُدِّلت من الظلمة نورا ، واعقبت من موتها نشورا .

ونرجع الى ذكر الباحث عن مدينه المتعجل الى انقطاع مدته . بسط يده في المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها وضرب على اهالي حلب ضرايب ضربت الاموال بالتمحيق والبضائع بالتمزيق.تلك البلاد تلهبت بجمرات ظلمه ، وتنهّبت ببدرات (٢٥) غشمه فالمحارم مهتوكة والدما (ء) مسفوكة ولسان الحال يقول,قد يكون للباطل دولة وللفساد صولة ، ثم ياتي من الانتقام والاصطلام ، ما يسقط الهام على الاقدام ، اما علم ان العزيمة من امير المؤمنين تنزل امثاله مثلا وتجعله لاهل الشقاق والنفاق مثلا ! اما علم انه اذا رماه بشعبة من افكاره ومسّه بجذوة من ناره عاد حرصه ندما وصار وجوده عدما ! وغُودِرُ اشياعه بددا بل طرائق قددا ! نصب عليه سردارا الصدر الاعظم والدستور المعظم نظام العالم مدبر جمهور بني آدم مراد باشا (٢٦) ادام الله اجلاله وبلّغه من خيرَي الدنيا والاخرى آماله،فسار اليه باسعد الطوالع والفواتح وايمن المحامد والمناجح فخيلت لركوبه الارض مائجة والبحار هائجة والمناجح تطرق بين يديه والميامن تسير حواليه وآيات الظفر تقرا

---

(٢٥) البدرة : هي « جلد السخلة اذا فطم ويقال ثلاث بدرات » واستخدم بمعنى كيس فيه الف او عشرة آلاف ، لسان العرب ، م ٤ ، ص ٤٩ .

(٢٦) مراد باشا « صاحب الحروب مع المجر والعجم والجلالية » ، عُيّن حاكما لليمن سنة ٩٨٤ هـ / ١٥٧٦ م ، واعطي بعد ذلك حكومة قرمان ، شارك في الحرب ضد بلاد فارس،ولي دمشق حيث شيد فيها سنة ١٠٠٢ هـ / ١٩٥٣ م سوقا عرف باسمه ، عقد صلح سقفا ثروك سنة ١٦٠٦ م ، مع النمسا ، عُيّن بعد ذلك سردارا على الشرق لاخضاع الحركة الجلالية وحركة علي بيك ابن جانبلاط ، كانت وفاته سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م انظر الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر ، ورقة ٤٤ ب ــ ٤٥ أ . المحبي ، خلاصة الاثر ، م ٤ ، ص ٣٥٥ ــ ٣٥٨ ، ابن جمعة المقسار ، ولاة دمشق ، ص ٢٣ ، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م)، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، منشورات المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨١ . صلاح الدين المنجد « خطط دمشق » مجلة الشرق ، م ٤٢ ، (١٩٤٨) ، ص ٦٢ ــ ٦٤ .

عليه والنصر يتراءى من ذائب أعلامه وبنوده وعناية الله ممدة على مواكبه وجنوده.ولم يزل سائرا والسعود تواكبه ولطائف (جامع الطايف) الله تصاحبه حتى قرب من مدينة حلب،فخرج علي بن جان بولاد قاصدا له بالطلب يحضره الى مصرعه الاغاليل ويعجله الى ملكه الاباطيل ، حدتهم (أ) لاستعجال (جاءت الاستعجال) الآجال ، وتصورت لهم المنايا في سور الاماني والآمال،ساروا وآجالهم تفسح في مطامعهم ومناياهم تحثّ خطاهم الى مصارعهم . نقلهم الله بأقدارهم الى مصارع حمامهم (٣ أ) فلما التقوا وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة دارت على أعدا (ء) الله به الدائرة من شهور سنة ست عشرة بعد الالف . وما احلّ الله بهم من الانتقام ما شبّ عن طوق الوصف وعلت ريح الاقبال « لحزب الله » (٣٧) ، وذرت ريح الادبار على أعدا « حزب الله » متعهدون بالمنايح الزهر واعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقسوة بأس مترصدون بالمنايا الحمر ، فاز « حزب الله » بأجر المجاهدين واعدا (ء) الله بوزر المعاندين ازداد « حزب الله » شدة مراس وقسوة بأس وثبات مقام ، وصدق انتقام ، واعدا (ء) الله انقلبت مواكبها وتضعضعت مراكبها وانخفض بيارقها لما شاهدوا الرايات المنصورة تزحف اليهم زحفا ، ملأت قلوبهم رجفا وهي تخفق بالنجح ، والطبول تنطق بالفتح ، أمر بتسوية الصفوف التي لا فلول يعتريها ولا رجوف ، وجعل الجيوش ميامن يقاربها اليمن والنجاح ، وميامر اقتضت اليسر والفلاح ، وصار هو وقواده قلبا قالبا لمن قابله وناكسا لمن واجهه.فحين تراءى الجمعان وانفضى الامر الى قرب العيان والتهبت جمرة الضراب والطعان التقى الجمع بالجمع وقرع النبع بالنبع (٣٨) وبلغت القلوب الحناجر وشافهت المناحر المناخر فعند ذلك صمتت الالسنة وخطبت السيوف

---

(٣٧) « حزب الله » من سورة المائدة آية رقم (٥٦) ، وكذلك ذكرت في سورة المجادلة آية رقم (٥٨) .

(٣٨) النبع : من اشجار الجبال تصنع منها القسيّ ، لسان العرب ، م ٨ ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

على المنابر واستمخرت (٣٩) سمر الرماح وتصافحت بيض الصفاح بلغ « حزب الله » من اقتناص الاعدا (ء) اقصى المبالغ ووطئوهم وطء القانع الدافع زحموا الاعدا (ء) من جوانبهم وتمكنوا من نقض مواثيقهم فضاق بهم المجال وتحكّمت بهم الآجال فلم تَرَ (جاءت ترا) الا رؤوسا تندر ودما تهدر واعضا (ء) تتطاير واجساما تتزايل، اوسعهم ضربا وشقّا وطعنا ورشقا وجرحا وزرقا؛ وطئوهم بسنابك الخيل وتركوهم كجفا (ء) السيل صبوا عليهم سوط (جاءت صوط) (عذاب) فاسلموهم لعوادي بتار وتباب بين قتيل عجل الله بروحه الى دار جزائه واسير قد اوثقه ما ارتكب من سوء رايه ، وابن جان بولاد نكص على عقبه وقد كادت صروف الايام تفترسه وبانيابها تنتهشه،لم ينج الا بشرذمة لاذت بذمّة الهرب ولن يفوتوا يد الطلب،اطار الرعب قلوبهم وسكن الخوف لبهم ، خرجوا من تحت طي السيوف وقد شارفتهم ، وشبا (٤٠) الحتوف وقد شافهتهم ، ولم يزل دائرا في البلاد ايجد من يعينه على البغي والعناد فلم يجد (٣ ب) له مساعد ولا خل معاضد،فلحسب عند ذلك قرب الموت لما راى من ضيق العيش وبعد الاوطان وقهر الجيش،ودخل على بعض البغاة فاراد (جاءت فارد) بعضهم أن يوثقه ويجعله اسيرا وبعضهم ظاهره وكان في خلاصه نصيرا.فانهزم وقصد الاعتاب العليّة والسدّة العالية السنيّة في سابع عشرى شهر رمضان سنة ست عشرة بعد الالف من هجرة سيد ولد عدنان يلتمس العفو ، وَرَمَقُه على تَلَف وشفاهته على شرف،فاُخِّر لأجَل مضروب وانسيء لأمل مكتوب .

واما « حزب الله » عادوا منصورين مؤيدين موفورين لم يَمَسَّهم جراح ولا عضّهم سلاح،غنموا اموالهم التي لم يؤدوا منها حقا معاوما ولم يغنوا منها سائلا ولا محروما ، ودخل الصدر الاعظم مدينة حلب والزمان ضاحك متظاهر البشر من الفتح الذي نطقت به

---

(٣٩) من مخر : استمخر قابل ، لسان العرب ، م ٥ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٤٠) شبا : الشباة طرف السيف وحَدُّه،وجمعها شبا ، لسان العرب ، م ١٤ ، ص ٤٢٠ .

السنةُ الشكر ومنحت لـه ابواب البشر ، والممالك ملأى (جاءت ملىء) تهاني وبشارات والأوليا شورى بين افراح ومسرات ، وسلمت قلعة حلب الشهبا بعد دخوله بثلاثة ايام من غير حصار ولا اهتمام لعظيم سطوته (جاءت حطوته) ، منحة من الكبير المتعال ، عزّتهم عزّة وتحكّمت بهم الأوجال ، طلبوا الذين (جاءت الذي) كانوا في القلعة الامان فاعطاهم ، فنزلوا على اسوا الاحوال ، هناه الله بالطوالع السعيدة عند نهضته ودلت عليه البشائر الحميدة في سفرته وقد دانت له الطوائف وآمن به الخائف . كان حلوله بمركز غرة الديمة الوطفا عن السنة الشهبا والنور المنتشر بعد الظلام المعتكر ، انحسرت الغمّة بتلألؤ جبينه ودرت النعمة بأخلاق يمينه فاصبح العدل ممدود الرواق والسلطان نصره الله ساطع الاشراق ، محروسا بعين عناية الملك الخلاق الواضع قدمه على ناصية الشمس ، الساحق بشبائه انوار البدر ، الضارب برواقه من فوق النجم المبسوط بين المغربين شعاعه المورد على الخافقين شراعه ؛ فالله يديم له الفتح يمينا ويسارا ويزيد اعداه ذلاً وخسارا ويجعل اعداه حصائد سيوفه ورهائن خطوب الدهر وصروفه .

ترجمة يوسف باشا سيفا للشيخ حسن بن محمد البوريني (٤١)

« الامير يوسف بن سيفا واخوه الامير علي ، قد انتق (١٤٦ ظ) مسيرنا الى طرابلس الشام فنهضت اليها من دمشق في شوال سنة ثمان والف من الهجرة النبوية، على مهاجرها الف الف تحية ومررنا

---

(٤١) الشيخ حسن بن محمد البوريني (٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م — ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥ م) ، مؤرخ من اصل نابلسي عاصر احداث سنة ١٠١٦ هـ / ١٦٠٧ م ، حول حياته وثقافته ومنزلته العلمية ومؤلفاته ، انظر الترجمة الوافية ومصادرها التي اوردها لبيب صلاح الدين المنجّد في تقديمه للمجلد الاول من تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، دمشق ١٩٥٩ م ، ص ٥ — ٢٦ . النص الذي ننشره مأخوذ من مخطوط تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، نسخة ثمينة ، رقم

Ost Arab, 1190, Mixt. 346

وهذا النص يقع في خمس صفحات ونصف في كل صفحة تسعة وثلاثون سطرا .

على مدينة عكـــار (٤٢) فاجتمعنا بالاميرين المذكورين وكان الامير علـــي لـــه تعلق باهداب الآداب ، وتوثق من معرفته باوثق الاسبـــاب ؛ ولعمري لقد شاهدت دولـــة سيفية وشهدت بسعادة يوسفيـــة وعاينت مجدا عاليا وجـــودا وافيا يشمل البعيـــد والقريب . وكانت بهما عكـــار صافية ، ووعود الزمان بالمراد لمـــن قصدها وافية ، فاشتهرت بعـــد الخمول وقُصِدَت حتى صارت محـــطّ الحمول ؛ ولعمري ان الدولـــة السيفية كانت وريقة الظلال باسمـــة الثغور عن عقـــود الاقبال . وقد مدحتُ صاحبي انشاء الدولـــة المذكورة ، الامير يوســـف ذو السيرة المشكورة بقصيدة ميميـــة ومدحت اخاه عليًّـــا باخرى رائية ، وانصرفتُ من عكار الى طرابلس الشـــام وطرفي لبرق اقبـــال هاتيك الديار قد شـــام ، ورأيت في الطريق بقايـــا حصن يقال له عِرْقا (٤٣) وقـــد عرقه الدهر الجائر بمديـــة جوره عُرْقا ، وشاهدتُ تحامل الزمـــان على نواحيه وتشتيته لجموع ساكنيـــه واهليه مع انـــه من الحصون القديمة التي

---

(٤٢) الحصون المتوافرة بين أيدينا لا تشير الى مدينة تعرف بعكار بل تشير الى حصن عكار . فيقول عماد الدين اسماعيل ابو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، : « وعكار حصن في الجبل المذكور (جبل عكـــار) » . امـــا القلقشندي فيذكر ما يلي : « وهي قلعـــة على مرحلة من طرابلس في جهـــة الشرق بوسط جبل لبنـــان في واد ، والجبل محيط بهـــا وشرب اهلها من عين تجري اليهـــا من ذيل لبنان المذكور ولها ربض ليس بالكبـــير » . وكانت تشكل نيابات مملكة طرابلس الشـــام في العهد المملوكي ونيابتها امرة عشرة ونائبهـــا يخاطب « النائب بحصن عكار » انظـــر ، تقويم البلدان ، حققه م . رينود والبارون ماك كوكين دي سلان ، المطبعـــة الملكية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٦٨ ؛ صبح الاعشى في صناعة الانشـــا ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ص ١٤٤ ، ص ٢٢٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ ، م ٩ ، ص ٢٥٣ ، م ١٢ ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥ ، يورد المؤلـــف هنا نص كتاب تقليد لاحـــد النواب .

(٤٣) يعرف ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، عِرْقة ، بقولـــه : « عرقة بكسر اولـــه وسكون ثانيه ... بلدة في شرقي طرابلس بينهمـــا اربعة فراسخ وهي اخـــر عمل دمشق وهي في سفـــح جبل بينهما وبين البحر نحو ميـــل وعلى جبلها قلعة لها » ويذكرها ابـــو الفداء بقوله : « هي بلدة صغيرة ذات قلعـــة صغيرة ولها بساتين ونهـــر صغير ... » ، انظر معجـــم البلدان ، م ٦ ، تحقيق فردناند وستنفلد ليبزج ، ١٨٦٨ ، م ٣ ، ص ٦٥٣ — ٦٥٤ ، تقويـــم البلدان ، ص ٢٥٤ — ٢٥٥ .

محت رسومه كل ديمة مستديمة . فلما دخلتُ طرابلس عجبتُ من محاسنها ورأيتُ عجايب البحر بالقرب من مساكنها ودخلتُ اليها مسا ليلة الاحد من اواسط ذي القعدة المنتظم في سلك شهور سنة ثمان بعد الالف من هجرة خير الانام عليه من الله السلام والسلام . ونزلتُ في منزل وكيل الامير علي اليوسفي السيفي وهو المسمى بطي ابن المقدم،وكان بين جماعته هو المشكور المقدم وكان النزول عنده باشارة استاذه المذكور بل بامره الذي يطيعه كل مأمور ، فاكرمنا اكراما وواصل الينا انعاما وحبانا الطافا ومَنَّ علينا إسعادا وإسعافا ، وحضر الينا علماء طرابلس مسلّمين ولدعوى العلم من جانبنا مسلمين . وقد صدر أن الامير يوسف بن سيفا حاكم مدينة طرابلس سابقا هذه الترجمة ارسل في اواسط سنة خمسة عشر بعد الالف الى باب السلطنة العلية بقسطنطينية المحمية يتطلب حكما سلطانيا منشورا خاقانيا ، بأن يكون راس العساكر الشاميّة وامير الامرا في هاتيك الولاية السنية لينتقم من علي بيك ابن الامير احمد بن جان بلاد الفارج بحلب الشهبا الذي تباعد عن الطاعة وابى ؛ فاجيب الى ذلك ، ونَفَّذَ السلطان أيده الله تعالى انه قادر على ما هنالك وارسل اليه الحكم المطاع الواجب الاتباع بأن يكون راسا على جميع العساكر ورئيسا لجميع الجماهر من حدود غزة والقدس ونابلس واللّجُّون وعجلون والكرك الى حدود طرابلس وجبلة واللاذقية وحمص وحماة وما هنالك من الاكراد والترك والعرب،وان يسعى على ازالة حكمه من ما[illegible] ونواحيها وأن يعيد الحكم السلطاني في البلاد المذكورة من فوانيها الى خوانيها . فلما جاء الامر المذكور وتَقَدَّر عنده الحكم المشكور ارسل الى حكام العباد وارسل الامرا في سايير البلاد فاجتمعوا في حماة وجعلها موطنه وحِماه،وذهب هو ايضا اليها ونصب سرادقه عليها . ونهض علي بيك من حلب الى هناك وتقابلا وتقاتلا وتجاولا ، ذلك مع السكبانية الباغين وابنُ سيفا مع عساكر حضرة سلطان المسلمين ، فقدَّر الله تعالى ان الكسيرة الكبيرة وقعت على جانب عسكر السلطان، وخرج سيف ابن سيفا من الاجفان ولكنه ما عاد اليها بعد الخروج،

وقد قبل قسم الخروج قبل الولوج ، ففر الى الشـــام وما عرجوا على الخيام ، فيالهـــا (١٥٠ ا) من كسرة ما وجدوا بعدهـــا نصره ؛ فلما دخل علـــي بيك الى مخيم الشاميين وابن سيفـــا وراى هناك سعادة وسلاحا ورمحا وسيفا، قوي مزاجه وعـــزّ مع الغير امتزاجه، فارسل الـــى ابن معن فخـــر الدين يطلبه للاقبال اليه بعـــد انكسار الشاميين. فاقبل اليه وورد عليه وكـــان اجتماعهما عند منبع العاصي، وكـــان ذلك رسما لاجتماع العساة من الدانـــي والقاصي ، فاتفق رايهما ان يرســـلا الى طرابلس عسكر (ا) يأخذها من يـــد ابن سيفا واتباعه ؛ فعيّنا لذلك درويش بيك ابن عم علـــي بيك مع جماعة لتفريق جيش ابـــن سيفا بعد اجتماعه ، فبادر ابن سيفا الى الهرب من شـــدة الخوف والرهب الى ركـــوب السفينة بنفس لفراق وطنـــه حزينة وابقى قلعـــة طرابلس حصينة بجيوش في ضمنها كمينة وجعل راسهـــم مملوكه يوسف ، ودعا لـــه بالحماية من موجبات التلهّف والتأسّف، واتخـــذ سبيله في البحر سربـــا وقضى الناس من فراقه لاوطانه عجبـــا ، واخذ معه امواليـــه الكثيرة وصحب محاسن امتعته العزيزة وســـار معه غالب اهـــل طرابلس من الرجال والنساء في مراكب متعددة وسفـــن في البحر متبددة فأ (ما) سفينتـــه التي سار فيها فقد جرّتها الريح الـــى قبرص (٤٤) ونواحيها، ودخل الـــى بعض مداين الجزيرة المذكورة ولم يجد ما رامـــه عندما قدم عبوره فطـــار في السفينة بأجنحة الشراع واقلع عـــن ذلك الساحل بقوادم القلاع وســـار الى الجانـــب القبلي ماججا ولم يلـــو على طرابلس معرجا حتى خـــرج من ساحل حيفـــا (٤٥) من توابع اللجون (جاءت الجون) ولـــم يسمع نصيحة

---

(٤٤) حـــول تاريخ جزيرة قبرص في العهـــد العثماني انظـــر :

Hill, Sir George, A History of Cyprus, vol. iv, Cambridge University Press, 1952, PP. 1 - 99.

وبالعربيـــة : Dakkot, Besim, "Kibris" I. A., vol. vi, PP. 672 - 76.

(٤٥) حول النصـــوص الجغرافية التي تذكر حيفـــا انظر ما جمعه الاب مرمرجي الدومنيكي في بدارة فلسطـــين ، بيروت ، ١٩٤٨ ، ص ٦٥ . في سنـــة ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م كان عدد سكان حيفـــا عشرين خانة جميعهم من المسلمـــين وربع حاصلاتها المدفـــوع

اخوانه الذين في نصحه يُلجّون. واما السفينة التي حملت اليتيمة المصونة واحتملت درره المكنونة فانها صارت للنصارى غُنْما ولهم بذهابها خسرانا وغرما، وكاد (جاعت وكان) يقتل وكيلها الذي اقامه عليها وجعله ناظرا وحافظا لديها ؛ والذاهب لا يعود والطوالع لا متمخّضة للسعود. واما مَن سار من رجال طرابلس ونسائها في صحبة الامير ابن سيفا فانهم وُجَدوا بالأُسر حَيْفًا وليتهم لو تبعوه حتى ماتوا معه ، فاخذتهم النصارى وصاروا في قبضتهم اسارى، فكم عزيزة صارت في ايديهم ذليلة ومن مصونة اصبحت في قبضتهم بعد السترة مبتذلة، وكم من عزيز في ايديهم قد ذَلّ ومن عظيم قد احتُقِر بعد ما جَلّ ؛ ولعمري انها كانت لفضيحة قبيحة ومصيبة اصابت لعدم قبول النصيحة . ثم ان الطاغية الذي أسر نساء اهل طرابلس الشام مكث في نواحي قبرس

= للدولة كان يساوي ٤٧٨١ اقجة . كما يشار الى وجود اسكلة (ميناء) فيها تتقاضى الدولة رسوما عن السفن التي ترده ، مقدارها الف اقجة سنويا ؛ والجدير بالذكر ان البحار العثماني بيري محي الدين ريس (ت ح ١٥٥٥ م) يشير في وصفه لساحل فلسطين الى وجود قلعة مدمرة في حيفا الا ان ميناءها كان يصلح للرسو ، وبموجب احصاءات سنة ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ م ، كان عدد سكان حيفا ٣٢ خانة جميعهم من المسلمين ومجموع ما يتحصل منها عشرة الاف اقجة . الا ان هذا الاحصاء لا يشير الى رسوم الاسكلة مما قد يوحي بانها كانت مستقلة كميناء . انظر طابو دفتري رقم ١٩٢ (اسطنبول) ، ص ٢ ؛ طابو دفتري رقم ١٨١ (انقرة) ، ص ١٩ — ٢٠ .

Heyd, U. "A Turkish Description of the Coast of Palestine in the Early Sixteen Century", Israel Exploration Journal, vol. vi, (1956), pp.210-211.

انظر ايضا : "Hayfa", E. I^2 . vol. iii, PP. 324 - 26.

راجع بالاضافة الى ما ذكر اعلاه جميل البحري ، تاريخ حيفا ، المكتبة الوطنية ، حيفا ١٩٢٢ م .

من اجل مقارنة حيفا مع كل من يافا والناصرة في القرن السادس عشر انظر مقالي :

Bernard Lewis : "Nazareth in the Sixteenth Century, According to the Ottoman Tapu Registers".

"Jaffa in the 16th Century, According to the Ottoman Tahrir Registers", in Studies in Classical and ottoman Islam Variorum Reprint, London, 1977, PP. 416 - 446.

كاسبا الآثام ، وشرع يبيع النســـا لرجالها ، وينادي لكـــل فرقة وعيالها ، فبلـــغ الناس في النســـا مبلغا عظيما وثمنـــا جسيما لكنّ مع الفضيحة الكاملة والحسرة الشاملـــة التي احرقت القلوب وعَظّمت الكروب ، وكـــان الرجل ينظر زوجتـــه مأسورة ، ويرى جاريته منظورة والمنـــادي ينادي في كل نادي، فمنهم مـــن يقدر على الفكاك ومنهم من يسقـــى من الإشراك في الأشراك، ومنهم مـــن يَفُكّ نفسه دون اهلـــه فيذهب عنها وقد فقد نور عقله، فكم من بِكْـــرٍ جميلة الصورة اصبحت في يـــد المشركين وهي مأسورة ، وكـــم من غلام يفوق البدر عند التمام ، وقـــد ناح عليه ابواه عند الفراق وذاب منهما الجســـم بشديد الاحتراق، وذلك من اعظـــم المصايب واشدّ النوايب . وامـــــا ابن سيفا فانه خرج من البحـــر ضيفا عند الامـــير احمـــد (٤٦) ابن المرحوم الامير طرباي ابن الامير علـــي الحارثي، وهو الآن أمير لـــواء اللجون (٤٧) فقام اليـــه مكرّما ولنزوله معظّما واظهر لـــه ما يليق بأمثاله من اكارم الأُمرا وأُمرا الاكارم ، وابرز لـــه ما يساوي

---

(٤٦) حول حياة الشيخ احمـــد بن طرباي الحارثي ، (ت ١٠٥٧ هـ / ١٦٤٧ م) ، امـــير لـــواء اللجون ودور اسرته في تاريـــخ سنجق اللجون بشمالي فلسطـــين منذ اواخر العهد المملوكي، انظر المحبـــي ، خلاصة الاثـــر ، م ١ ، ص ٢٢١ — ٢٢٢ . كذلك مقالـــة موشي شارون :

"The Political Role of the Bedouins in Palestine in the Sixteenth and Seventeenth Centuries", in Studies on Palestine during the Ottoman Period, edited by Moshe Maoz, Jerusalem, 1975, PP. 11 - 30.

كذلك دراستي : الأسرة الحارثية في مرج بنـــي عامر ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م — ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م . المقدمـــة لندوة تاريخ العرب الحديث ، جامعة عـــين شمس ، القاهرة ، ٧ — ١٢ ايـــار ١٩٧٧ ، (تحـــت الطبـــع) .

(٤٧) حول لـــواء اللجون انظر دراستي المشار اليهـــا سابقا خاصة هامش رقـــم ٢ ، ص ٢٥ . ولقد كـــان هذا اللواء يشمل النواحي التالية : ثفا ، ساحل عتليت ، ناحية شعرا وناحية جنـــين ، لمزيـــد من التفاصيل انظر :

Wolf Dieter Hutteroth and Kamal Abdulfattah, Historical Geography of Palestine, Transjordan and Southern Syria in the late 16th Century, Erlangen, 1977, PP. 157 - 161.

البحار الزاخرة من المكارم ؛ والحال ان ابن سيفا طلع الى الامير المذكور وليس معه من جماعته سوى سبعة رجال على ما هو مشهور (١٥٠ ب) غير ان معه من الاموال مالا يدخل تحت الاحصا ولا يشمله الاستقصا ، وارسل علي بيك ابن جان بُلاد الى الأمير احمد طرباي رسالة تشتمل على ما معناه،انك يا امير احمد أجتهد في قتل ابن سيفا وجَرِّد في قتله وقتاله رمحا وسيفا ولك المال بأسره وتحوز لنا الراس فبادر بذلك فلا حرج عليك ولا بأس ، وان لم تفعل جوزيت منا بالعتاب او بغاية التعزير والعقاب . فأجاب بأن هذه كلمة لا تقال،ومن وقع في مثل هذا فعثرته لا تُقال ، ليس ذلك من فعل الامرا ولا من شان الاعيان والكبرا ؛ كيف يكون ضيفي وينالـه رمحي وسيفي ؟ ثم انه بادر الى اهداء الخيول المسوّمة (٤٨) وتقديم الضيافات المنزلة وقال له مرحبا بك يا امير واهلا بجودك الخطير ، لو كان لي مال لقدّمته اليك ووضعته بين يديك ، ولكن عندي خيول ليس لهـا مثيل ولا يتطاولها جواد ولا في التمثيل،وفيها جواد جيد قوي ايد جموح أبيّ ما علا ظهره أحد بعد أبي ، وهو لك مني عطية راضية مُرضيّة ليس فيها منّة عليك بل هي نعمة منك اليك ؛ ثم انه اضافه اياما عديدة وقدّمه مقدّمة سعيدة واكرم مثواه واجلّ مشاهُ ؛ ثم انه ارسل الى عسكر التركمان يطلبهم الى بلاد اللجون فساروا اليه ووردوا عليه ، فسار معهم على

---

(٤٨) يلاحظ انه عند عودة الامير فخر الدين المعني من ايطاليا،بنى ميناء على مرافئ السلطات العثمانية سنة ١٠٢٧ هـ / ١٦١٧ م ، الى صيدا عبر عكا ، ان الامير أحمد الحارثي « أرسل كخداة بتقدمة الخيل ايضا التي ترتضيها الضراء ». راجع الشيخ احمد بن محمد الخالدي الصفدي ، تاريخ الامير فخر الدين المعني ، ص ٦٩ .

طريق حوران (٤٩) ولم يسر على جُبّ يوسف (٥٠) وأرض كنعان (٥١) خوفا من الامير فخر الدين ابن معن فانه عدوّه وعند (٥) اصحاب الضرب والطعن ، فلما دخل الى ارض الشام وجد اهلها في

---

(٤٩) في اواخر القرن السادس عشر الميلادي كانت حوران تشكل قضاء من ضمن سنجق دمشق الشام ، وشمل هذا القضاء النواحي التالية : ناحية البطيحة ، ناحية الجولان الغربي ، ناحية الجولان الشرقي ، ناحية الكفارات ، ناحية بني كانة ، ناحية بني جهمة ، ناحية بني ماتكة ، ناحية بني الاعسر ، ناحية جيدور ، ناحية بني كلاب ، ناحية بني مالك الصدير ، ناحية بني مالك الاشراف ، ناحية البطنية ، ناحية بني عبد الله ، ناحية بني صرما ، ناحية بني مقلد وناحية بني نشبة،وليست نشبة كما جاءت عند Hutteroth انظر :

Bakhit, M. A. The Ottoman Province of Damascus in the 16th Century. Ph. D. Thesis, London, 1972, PP. 85 - 93, (in the press),

والملاحظ أن الاستاذ هوتروث يضيف ناحية اخرى هي ناحية بني عطية ، انظر هوتروث ، المرجع ذاته ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٥٠) جب يوسف بالقرب من نابلس ؛ فيما يتعلق بهذا المكان انظر ما جمعه عنه الاب مرمرجي الدومنيكي ، بلدانية فلسطين ، ص ٤٩ — ٥٠ .

(٥١) أرض كنعان (الارض المنخفضة او الغور) ، كانت في البداية تُطلَق على بلاد الساحل ثم اتّسع مدلولها ليشمل بلاد سورية الجنوبية الغربية باكملها . الا ان مفهوم الجغرافيين المسلمين لهذه البلاد كان على الارجح يقتصر على الشمال الشرقي لبلاد فلسطين . يذكر ابو الفداء واديًا يُعْرَف بوادي كنعان فيه ضيعة تعرف باسم كفرلا تبعد عن جب يوسف اثني عشر ميلا وانها بالقرب من باتياس . كما ان الشيخ صدر الدين ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي الشافعي العثماني (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٦ م) يذكر صفد بقوله « اما صفد نفسها فحصن منيع بقلة جبل كنعان » راجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ ، ص ٣١١ — ٣١٢ ؛ ابو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، ص ٢٧٠ — ٢٧١ .

Bernard Lewis, "An Arabic Account of the Province of Safad" BSOAS, vol. xv, (1953), P. 479.

فيما يتعلق بالمفهوم التوراتي لهذه البلاد ، انظر :

Smith George Adam, The Historical Geography of the Holy Land, New York 1907, PP. 4 - 5.

كذلك الخارطة رقم (٣) المرفقة بكتاب :

Yeivin, Sh.,The Israelite Conquest of Canaan, Nederlands Historishch — Archaelogisch Institute, Istanbul, 1971.

الخيام وهم في انتظار العساكر القادمة من الأطراف لحصول الإسعاف منهم والاسعاف على ابن جان بلاط ومن معه من الاخلاط كابن محسن ويونس (٥٢) ابن الحرفوش،وكلّ من باطنه خاين مشوش ؛ فانهم لما كسروا جيوش ابن سيفا على حماه حرس كلّ منهم بيت المخرور وحماه،وقصدوا طرابلس الشام فهتكوا حريمها ولم يبق لها احترام، واقام بها درويش ابن حبيب ابن جان بلاط مدة يفسد فيها ومن معه من الاخلاط الى ان اصبحت قاعا صفصفا وما عفا عن اهلها ، فما هي من ظلمه عفا ، لا سيّما بيوت توابع ابن سيفا فانه قد اورثهم حيفا،اللهم الا قلعة طرابلس المحمية فانها نجت من حوادث البليّة،وما ذاك الا ان يوسف مملوك ابن سيفا حماها وحصّن ربعها وموطنها وحماها ، وكان يلقي من باطن القلعة المذكورة نيرانا محرقة يخرب بها بيوت اكابر طرابلس،لا سيما بيوت التابعين لابن سيفا . ولما وصل درويش ابن حبيب الى طرابلس الشام واوصل الى اهلها ما قدر عليه من التعدي والآلام ذهب علي بيك ابن عمه وابن معن الى نواحي بعلبك فاحرقوا ربضها ونهبوا المدينة وما قدروا عليه من قراها،ولما عزّوا راحلين الى ان استقرّوا في البقاع وانزلوها في الحضيض بعد العلياء. ولنذكر في اثناء هذه الحكاية (التي) توجب غاية الكآبة،وهي ان الامير موسى ابن الحرفوش امير الامراء ودار الامارة الكبرا فخر بني حرفوش بالاتفاق؛ بل هو فخر امراء الشام على الاطلاق،كريم لا يبارى الغمام وعهد صادق العقدة في غاية الابرام وشجاعة فاقت على الاسود واصالت على كل ذي اصل يسود ، نهض من بعلبك وهو حاكمها الى نواحي حمص مستقبلا لابن جان بلاط وجيوشه ، مداراة

---

(٥٢) جاءت في النص يوسف بن الحرفوش،والأصحّ كان اسمه يونس بن حسين بن موسى الحرفوش الذي اصبح « امين بلاد بعلبك » بدل عمه الامير موسى بن علي الحرفوش الذي كان ذا ميول سنّية،وتدخّل للصلح ما بين علي بن جانبلاط من جهة وما بين يوسف باشا سيفا من جهة اخرى،الا انه فشل في مهمته وهرب مع يوسف باشا سيفا ؛ انظر البوريني ، تراجم الاعيان ، م ٢ ، ص ١٧٥ ، ايضا ورقة ١٤٨ ب ، ١٤٩ ا ، المحبي ، خلاصة ، م ٤ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

عن عرضه ومحامـــاةً عن أرضه،فتحادثا وتقـــاولا وتشاورا فيما صدر وتجاولا،فقال الامـــير موسى هلّا تعطيني عهدا على الصلح بـــه جرح الخراب يوسى ، وانـــا اذهب الى الشام وآخـــذ لك العهد الوثيق من الانام،فقال اذهب سليمـــا وكن يا موسى كليما ؛ فحضر الى الشـــام ورمى من عسكرها بغايـــة الكِلام لشدّة مـــا اوجعوه بغيظ الكَلام ظنًّا من جهلائهم انـــه عليهم،وما كان الاّ ناويا ســـوق الخير اليهم ، (١٥١ أ) فلما حضر الى امـــير الامرا قال له بما قد جيئت على قدر يـــا موسى فجرِّدْ سيف عزمـــك لعلّه يُذهِب البوسى،فقال يـــا امير الامرا : ابن جان بـــلاط يطلب منك ان تعطـــوا حوران لعمرو (٥٢) البدوي مـــن العرب المفارجة،والبقاع العزيـــزي لابن الفريخ (٥٤) منصور بـــن بكري،وأدخِلوا

---

(٥٢) عمـــرو البدوي هو عمرو بن جبر شيخ عشيرة المفارجة ، حليف فخـــر الدين المعني ؛ كان رشيد بـــن سلامة بن نعيم شيخ السرديين مـــن المفارجة ينافسه على المشيخة في حوران،وكان رشيـــد موضع عطف الدولة العثمانية ، حيث أعطي سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، المشيخـــة بحوران ، حول دورهما في معركة الصراع القيسي ــ اليمني ، انظر البوريني ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ ، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، انظـــر كذلك نص البوريني الموجود في مكتبة جامعة ليـــدن باسم : كراستان نُقِلتـــا من خـــط الشيخ حسن البوريني Cod. or. 1515 ورقة ١٤ ، حيث ان هـــذا النص يتفق مع النص الـــذي نشره صلاح الدين المنجّـــد في هامش ص ٢٢٥ من المجلـــد الثاني ، راجع ايضا الشيخ احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ص ١١ ، ص ١٣ .

(٥٤) الامير منصور بـــن الفريخ (ت ١٣ ربيع الثاني ١٠٠٢ هـ / ٦ كانون الثاني ١٥٩٤ م) قُتِـــل في دمشق بامر من السلطان بنـــاء على رغبة والي دمشق آنذاك مراد باشا ، ولقد كـــان امير البقاع العزيزي بعد القضاء علـــى اسرة آل الحنش البدوية السنية اعطي حكومة نابلس وامارة الحـــاج والتزم اموالا للدولة على صفـــد ، كان يقف ضد الدروز والمعنيين خاصة : ترك عشرة أولاد اكبرهـــم قرقماس الذي قُتِل على يـــد الامير موسى بن الحرفوش في ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م ، بايماز من فخـــر الدين المعني بعد أن رفض الامـــير يوسف باشا سيفا ايواءه . مـــن هنا نرى ان منصور بـــن الفريخ قد قُتِل قبل هذه الحوادث . ولربما اختلـــط الامر على الناسخ فخلط ما بين اسم ابـــن الفريخ واسم الامير فروخ بن عبد اللـــه الجركسي امير الحاج الذي تولّى حكومـــة نابلس وعجلون والكرك سنـــة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ، وامارة الحاج ، ولـــم يزل في هذا المنصب الى أن مـــات بمكة المشرفة في سنة ثلاثين والف

كيوان (٥٥) الى الشـــام كما كان ، واكتبوا عرضا بـــأن ابن جان بلاط لم يدخل الى ارض الشـــام ، وان ابن معن فخر الديـــن يؤدي ما عليه من مـــال السلطان،وبلاده موصوفة بالامان ؛ فعقد امير الامرا ديوانا لهذه المطالب ، التي جـــاء الامير موسى وهو لها طالب ، فاتفقوا على ان حوران تعطى لعمـــرو ولكنْ في السنة القابلة،وأمـــا البقاع فان اعطاءه لمنصور المذكور غـــير معقول ، لكونه عند الرعايا غـــير مقبول ، وأما كيوان فانه يرجع الـــى الاوطان وعليه ما علـــى الناس من الامان ، واليمين من جانبنا لازمـــة لجميع الاخوان وقد كنت حاضر (ا) فـــي الديوان بدعوة من وكيـــل السلطان،فقال امير الامرا وهـــو الوكيل للفقير العليل : اكتب لنـــا صورة مكتوب الى ابن جـــان بلاط واخبره بما جرى عليه الاتفاق مـــن قبول دخول كيوان والعفو عنـــه وعن ذنوبه،ومن وعده باعطـــا (جاءت بااعطا) حوران ، لعمرو في السنـــة القابلة،ومن الاعتذار من عـــدم اعطا البقاع لمنصور بـــن الفريخ ابن بكري.وأخبِرْه بأن المحضر سيصل اليـــه بما طلب في حقّه وفي حـــقّ ابن معن . فلما انفض الديوان علـــى ذلك وقع الاتفاق على ان يحضروا في اليـــوم الثاني الى بيـــت رجل من الجند الشامي يقال لـــه تركمان (٥٦) حسن فاجتمع

= (١٦٢٠ م) ، انظر احمـــد الخالدي الصفدي ، المصدر ذاتـــه ، ص ٧ ، ص ٨ ، ص ٩ ، ص ١٦ ، ص ٢٧ ، ص ٣٥ ، الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٢١٢ ب ـــ ٢١٣ أ ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٣ ، ص ٢٧١ ، م ٤ ، ص ٤٢٦ ـــ ٤٣٢ .

(٥٥) كيوان بن عبد اللـــه (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م) ، زعيم الجنـــاح العسكري بدمشق المتماون مع فخـــر الدين المعني ، كانت نهايته على يـــد فخر الدين نفسه ، حول دوره في معركة الصراع ما بـــين العسكر في دمشـــق واستغلال العسكر للصراع القيســـي ـــ اليمني في صراعهم ذاك ، انظر الغزي ، لطـــف السمر ، ورقة ٤٢ ب ـــ ٤٤ أ ، ب ، المحبـــي ، المصدر ذاتـــه ، م ٢ ، ص ٢٦٩ ـــ ٣٠٢ .

(٥٦) تركمان حسن المقصود بـــه حسن باشا ابن عبد اللـــه الامين الكبير المعروف بشريزة حسن مـــن صدور دمشق واعيانها الذي كـــان يرجع اليه في المهمّـــات ويعول عليه في الامور،وكانت تناط به أمور دمشق عند غياب ولاتها . توفي سنة ١٠٢٧ هـ/ ١٦١٧م. احتلّ ابنه محمـــد دورا مماثلا الى حين وفاته سنة ١٠٧١ هـ / ١٦٦٠ م ، حول حياتهما انظـــر ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٢٩ ب ، ٣٠ أ ، المحبـــي ، المصدر ذاته ، م ٢ ، ص ٢٤ ـــ ٢٧ ، م ٣ ، ص ٤٢٧ ـــ ٤٢٨ .

الجند كلّه في بيت الجندي المذكور ما عدا الوكيل الاكبر عن السلطان وقاضي القضاة فانهما ما حضرا ولا استحضرا.فوقع الاتفاق على كتابة مكتوب مرغوب خطابا لعلي بيك ابن جانبلاط بما سبق من الاتفاق، وعلى كتابة ديباجة محضر بأن المذكور ما وطىء ارض الشام،وان ابن معن يوصل مال السلطان في محله ، وبلاده آمنة الطرقات . فأما المكتوب فقد كَتَبْتُه وخَتَمَه اعيان الجند،واما المحضر فانه عرض على الشيخ محمد بن سعد الدين (٥٧) فما قبل معناه ولا رضي بفحواه، وابرق وارعد وما وعد ، بل توعد و (قال) انا انا لا اكتب هذا ولا ارتضيه ولا اقبله ولا امضيه ؛ فرجع الامير موسى الى ابن جانبلاط بغير المراد ، فعند ذلك قال ابن جان بلاط ما يظهر مقامي عند جند الشام الا باظهار البرهان ، واظهار السيوف البارقة والخرصان (٥٨).وقام من يومه قاصدا بلاد بعلبك وبلاد البقاع،وتخريب الاماكن والبقاع ؛ واما الامير موسى ابن الحرفوش فانه استمر هاربا من ابن جانبلاط الى دمشق، فاخبرهم بانه ترك الجماعة قصدا للموت على الطاعة ، واقتضى حضوره الى دمشق حضور جند ابن جانبلاط وحشرات ابن معن الى بعلبك فنهبوها ، والى من بقي من النسا والرجال ففرّقوها ، وخيّم ابن جان بلاط وابن معن في البقاع العزيزي ، وانحاز اليهم يونس بن الحرفوش ومن معه من اولاد عمه مغاضبا لحضرة الامير الكبير ذو القدر الخطير الامير موسى ابن عم يونس المذكور ، وخرج الجند الشامي الى الميدان الاخضر بدمشق وخيّموا هناك،واستحضروا سنجق القدس وسنجق نابلس وسنجق غزة وسنجق اللجون وسنجق

---

(٥٧) الشيخ محمد بن سعد الدين الجباوي (ت ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م) ، شيخ الطريقة الجباوية بدمشق كان ملّاكا كبيرا ، وكان يتوسط لدى الحكام نيابة عن الرعية خاصة عند زيادة الضرائب.لمزيد من التفاصيل حول حياته راجع البوريني ، المصدر ذاته ، م ١ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ ، الغزي ، لطف السمر ، ورقة ٦ ب ــ ٧ ا ، المحبي ، المصدر ذاته ، م ٤ ، ص ١٦٠ ــ ١٦١ .

(٥٨) خرصان : جاءت خرصاز ، امّا الخرصان فهي الرماح ، انظر لسان العرب ، م ٧ ، ص ٢١ ــ ٢٤ .

عجلون،واما صد فانها كانت مع فخر الدين بن معن وهو كان مع المخالفين الخارجين.ولم تزل الجند تتزايد في دمشق،وكذلك عسكر الخوارج فانه ايضا كان يزيد،وترددت الرسل في الصلح من الجانبين فما حصل اتفاق،واختلفت آراء الجند الشامي فمنهم من كان يميل الى الصلح ومنهم من كان يميل الى القتال،حتى ان ابن جان بلاط ارسل من خوارجه جماعة الى دمشق (١٥١ ب) يطلبون الصلح فلما رضي بذلك راس جاويشة العسكر الدمشقي،وهو محمد الشهير بابن الدزدار (٦٠) وخرج العسكر الشامي من الميدان الاخضر الى مكان يسمى المراد (٦٠) وزحف ابن جان بلاط وابن معن ومن معهم الى مقابلة العسكر الشامي ومع ذلك ايضا فان ابن جان بلاط كان يُظهر إرادة الصلح،فما وافق على ذلك ابن الدزدار المذكور ومن تبعه من الجند الشامي ؛ والقدرة غالبة ويد الله غالبة . وفي اواسط جمادى الآخرة من شهور سنة خمس عشرة بعد الالف زحف الفريقان،ووقع بينهما القتال،فما فاتت ساعة أو قريب من ساعتين واذا بالعسكر الشامي قد رهب فهرب ، مع كثرة عدده ووفور عدده.وبالله لقد اخبرني من راى الفريقين ان خيل اهل الشام حزرت فكانت تناهز اربعين الف فرس،وكانت عدتهم وآلة (جاءت الت) حربهم في غاية القوة والمتانة،ولكن جند الله غالب وقدره سالب ؛ ولما هرب اهل الشام انقسموا فرقتين،فواحدة ذهبت الى اذرعات (٦١) في اواخر ارض حوران هربا من ابن جان بلاط

---

(٥٩) لم أعثر له على ترجمة في المصادر المتوافرة لدي .

(٦٠) المراد تقع الى الجنوب الغربي من دمشق .

(٦١) أذرعات ، كانت في العهد الفاطمي كما نقل ابو الفداء عن حسين بن احمد المهلبي (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) صاحب كتاب المسالك والممالك المعروف بالعزيزي ، « مدينة كورة البثنية » ؛ ويذكر ياقوت انها « بلد في اطراف الشام بجاور ارض البلقاء وعمان،ينسب اليه الخمر ».في القرن السادس عشر كانت تقع في ناحية بني مقلد،وتذكرها دفاتر الطابو باسم « قرية مدينة اذرعات » وانها كانت خاص ميرميران . بلغ عدد سكانها حوالي سنة ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م ثماني عشرة خانة مسلمة ، ليرتفع عدد سكانها حوالي سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م ، الى ثمان واربعين خانة مسلمة وخمسة مجردين وخانة مسوحية واحدة ،

وابن معن،واخـــرى رجعت الى الشام.والراجعة الى الشـــام قسمان، القسم الاول ســـاروا متفرقين مشتتين،والقســـم الثاني مكثوا في دمشق محاصرين،وغلقـــت الابواب وتهيأ من بهـــا للحراب؛فقصدها حزب العدوّ ونهبوا ما كـــان خارج السور من المســـاجد والخانات والاسواق والدور ، وانبثّ الخوارج الأشقيـــا في البيوت الواقعة خارج دمشـــق،واخذوا الأسباب عـــن آخرها الا قليلا تَخبّوا تحـــت الارض،وأسروا كثيرا مـــن الاولاد وتحاموا الحريم مـــن النسا ؛ وذهب ابن سعد الديـــن الشيخ محمـــد الى ابن جان بلاط وهـــو نازل على قرية المِـــزّة (٦٢) فما قابله بالعزة ، وطلب منـــه حاميا يحمي محلّته المعروفة بالقبيبات (٦٣) فاعطاه

= انظـــر : ياقوت ، معجـــم البلدان ، م ١ ، ص ١٧٥ ــ ١٧٧ ، ابـــو الفداء ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ ، طابـــو دفتري ٤٣٠ (اسطنبـــول) ، ص ٥٥٥ ، طابـــو دفتري ٤٠١ (اسطنبـــول) ، ص ٦٧٠ .

(٦٢) المزة بالكسر ثم التشديد .. وهي قريـــة كبيرة غناء في وســـط بساتين دمشـــق وبرزة لها مـــزة كلب . كان عدد سكانها في النصـــف الاول من القرن السادس عشر على النحـــو التالي :

طابو دفتري رقم (٤٠١)	طابو دفتري رقم (٢٦٣)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) اسطنبول	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م) اسطنبول
(١٥٠) خانـــة مسلمة	(٢٦٢) خانـــة مسلمـــة
(٣٥) مجـــرد مسلـــم	(ـــــــــــ)
(١) خانـــة مسيحية	(٣ خانـــة مسيحية)

طابو دفتري رقم (٤٠١) ص ٦٠ ــ ٦١ طابو دفتري رقم (٢٦٣) ص ١٨٢ ــ ١٨٥

ياقوت ، معجـــم البلدان ، م ٤ ، ص ٥٢٢

(٦٣) القبيبات : يعرّفها الشيخ محمـــد احمد دهمان بانها « محلة مشهورة في الميـــدان قرب الجامع الكريمي « جامع الدامـــاق »،سميت بذلك لان اكثر بيوتهـــا ذات قباب ولا يزال بعضها باقيـــا الى الان ».انظر القلائـــد الجوهرية في تاريخ الصالحيـــة لابـــن طولون ، م ٢ ، تحقيـــق الشيخ دهمان،دمشـــق ١٩٤٩ ، ١٩٥٦ ، م ١ ، ص ١١٠ (الهامش) . كان عـــدد سكان هذا الحي بموجب دفاتـــر الطابو على النحـــو التالـــي :

طابو دفتر (٤٠١)	طابو دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(ح ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م)	(٩٥٥ هـ / ١٥٤٨ م)	(٩٧٧ هـ / ١٥٦٩ م)
(٢٧٢) خانـــة مسلمة	(٢٧٩) خانة مسلمة	(٣٩٨) خانة مسلمة
(٦) مجـــرد	(٦) مجـــرد	(١٢) مجـــرد
من ٤٤ ــ ٤٥	(١) خانة مسيحية	(١) خانة مسيحية
	ص ٤٢ ــ ٤٨	ص ٧٢ ــ ٧٩

رجلا من السكبانية يقال لـــه عقيل فمكث عنده حاميا بيتـــه وعياله ، ولم يَحْم بيتـــا من القبيبات سوى بيته،على ان بيته قـــد اخذ منه عياله وبقاله ودوابه وغالب مالـــه النقد،فكان الحامي يحمي لنفسه . اما اهـــل القبيبات فقد غُدِروا من شيخهـــم المذكور لانه قال لهم من رفع يـــده للقتال كان من المقتولين ، فالقـــوا سلاحهم وظنوا انهم يُرْحَمون بترك قتالهـــم فما كان القاء السلاح الا سببـــا لخراب الديار وعدم حماية الذمـــار ، فاجتمع عليهم الذلّ والجبن ونهبُ المـــال وبعض الاولاد،واللـــه تعالى ينتقم من اهل الغرور والعنـــاد ؛ واستمرّ النهب في المحـــلات الخارجة عن سور دمشق ثلاثة ايـــام ولم يبقوا صامتا ولا ناطقا ولا ولـــدا صغيرا من اهل الاسلام،وما نجـــا سوى اهل محلة الشاغور (٦٤) فانهـــم حاربوا الخوارج خارج السور وقتلـــوا منهم ما يزيد على ثلاثين رجـــلا بالنصوص،وقد قتل من الخوارج في الايـــام الثلاثة في نواحي بساتين دمشق وعلـــى ابوابهـــا وبين بيوتها ما يقرب من الفـــي رجل ، وغالب القتل كـــان من شباب دمشـــق واحداثها . واما ابن سيفا فانـــه ما خرج مع الجند الشامي الى القتـــال،فاستمرّ محتجبا في البيوت مع النســـا لا الرجال زاعما انـــه مريض؛فلما بلغته كسر العسكر خاف وعَـــمّ اعضاءه الارتجاف

---

(٦٤) الشاغور ، احـــد الاحياء الخارجية لمدينـــة دمشق ، تذكر دفاتـــر الطابو الشاغور البرانـــي والشاغور الجواني،وكان عـــدد سكانها كما يلي :

ا ـــ الشاغور البرانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٥٥٩) خانة مسلمة	(٤٣٦) خانة مسلمة	(٥٣٦) خانة مسلمة
(٤٢) مجـــرد	(ـــــــ)	(١٧) مجرد مسلم
(٢) خانة مسيحية	(ـــــــ)	(٤) خانة مسيحية
ص ٢٦ ـــ ٢٩	ص ٨٢ ـــ ٨٨	ص ٦٢ ـــ ١١٠

ب ـــ الشاغور الجوانـــي

طابو دفتري (٤٠١)	طابون دفتري (٢٦٣)	طابو دفتري (٤٧٤)
(٣٢٧) خانة مسلمة	(٢٦١) خانة مسلمة	(٢٢٠) خانة مسلمة
(٣٠) مجرد مسلم	(١٩) مجرد مسلم	(٨) مجرد مسلم
(٦) خانة مسيحية	(٤) خانة مسيحية	(٢) خانة مسيحية
(١٣) شريـــف	ص ٨٨ ـــ ٩٢	ص ٨٧ ـــ ٩٢
ص ٢٩ ـــ ٣٢		

فوزن القاضي دمشق وبعض اعيانها ما يزيد على مائة الف غرش،وهي التي كانت سببا لخلاص المدينة من حصار ابن جان بلاط وابن معن؛ ذلك انه اعطى المال المذكور وفتحت له ابواب دمشق ليلا ونجا براس حمراء،ونجا وخرج مع البازي عليه سواد وسار معه بعض الجند الشامي،وسار معه ايضا المرحوم الامير موسى ابن الحرفوش؛ولم يزالوا معه حتى وصل الى حصن الاكراد (٦٥) واستحصن به لانه كان محفوظا مع عمه الامير محمود ابن سيفا.وقبض ابن جان بلاط المال (١١٥ أ) الذي اعطاه ابن سيفا ورحل عن دمشق بعد الايام الثلاثة، وذهب متوجها الى نواحي حلب،وسيشرب في مجلسه ما جلب وحلب. والقصة تتمة مفيدة تذكر ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب بالخصوص لانها مشروحة في فصل بها مخصوص،والله اعلم .

---

(٦٥) يذكرها ياقوت في عهده بقوله « حصن الاكراد على الجبل المقابل،وهو بين بعلبك وحمص.وكان بعض امراء الشام قد بنى في موضعه برجا وجعل فيه قوما من الاكراد طليعةً بينه وبين الفرنج،واجرى لهم ارزاقا فتدبروها باهاليهم ثم خافوا على انفسهم في غارة فجعلوا يحصنونه الى ان صارت قلعه حصينة منعت الفرنج من كثير من غاراتهم،فنازلوه فباعه الاكراد منهم ورجعوا الى بلادهم. وملكه الافرنج وهو في ايديهم الى هذه الغاية.وبينه وبين حمص يوم ولا يستطيع صاحبها انتزاعها من ايديهم.ويذكر ابو الفداء انه كان مقرّ ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس . اما القلقشندي فيذكر انه احدى نيابات مملكة طرابلس الشام ونيابته امرة عشرة ورسم المكاتبة للنائب « النائب بحصن الاكراد ».ياقوت ، معجم البلدان ، م ٢ ، ص ٢٧٦ ، ابو الفداء ، كتاب تقويم البلدان ، ص ٢٥٩ ، القلقشندي ، صبح الاعشى ، م ٤ ، ص ٨٥ ، ٢٣٥ ، م ٧ ، ص ١٧٦ . راجع المادة التي اوردها عز الدين بن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) . عن حصن الاكراد في كتابه "الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة"، تحقيق سامي الدهان ، منشورات المعهد الفرنسي ، دمشق ، ١٩٦٢ ، الجزء المتعلق بلبنان والاردن وفلسطين ، ص ١١٥ — ١٢٠ .

انظر كذلك :

Ellsseeff, N., "Hisnal-Akrad" E. I. vol. III, PP. 503 - 506.

التقريـــر السنـــوي الاول

لمجمع اللغـــة العربية الاردني لعـــام ١٩٧٧ م

اولا : ـــ الخطـــوات التاسيسيّـــة

صدر قانون مجمـــع اللغة العربية الاردني رقـــم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م في عـــدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١٩٧٦/٧/١ م .

وفي اليوم الأول مـــن شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ بـــدأ المجمع بخمسة اعضاء ، عيّنهـــم مجلس الوزراء ، بنـــاءً على تنسيب من وزير التربية والتعليم ، وفقـــًا للفقرة (ب) من المـــادة (٢٠) من القانون المذكور ، فكانوا هـــم النواة لمجلس المجمع ، والمكتـــبَ التنفيذيَّ الأول لـــه . واقترنَ قرار التعيين هـــذا بالارادة الملكية السامية .

وعَقَد مجلسُ المجمـــع اجتماعه الأول برئاسة وزير التربية والتعليم ، وانتَخَب رئيسا لـــه ، ونائبا للرئيس ، ونسب الى السيد الوزير تعيين امين عـــامّ للمجمع : فكان الدكتور عبـــد الكريم خليفة رئيسا للمجمع ، والدكتـــور محمود السمرة نائبـــا للرئيس ، والدكتور محمود ابراهيم والدكتور سعيد التـــل عضوين . وصَدَر قرار وزيـــر التربية والتعليم بتعيين الأُستاذ عيســـى الناعوري امينا عامـــًّا للمجمع .

وصـــدرت الارادة الملكيـــة السامية بتعيين الدكتور عبـــد الكريم خليفة رئيســـا للمجمع .

هـــذه كانت الخطوات الأولـــى والاساسية لتاسيس المجمع ، وهو المجمع الرابع في العالـــم العربي ، بعد مجمع دمشـــق ، ومجمع القاهرة ، ومجمـــع بغداد . والقانون رقم (٤٠) لسنـــة ١٩٧٦ م يمنحه

اهداف المجمع في المادة (٤) منه ، كما يحدد في المادة (٥) الوسائل التي يحقّق بها المجمع هذه الاهداف .

ثانيا : ـ مقرّ المجمع وانتظام العمل

من ١٩٧٦/١٠/١ م الى ١٩٧٧/٧/١ لم يكن للمجمع مقر خاص به ، يستطيع ان يمارس فيه عمله بانتظام وفعالية . وكان يأمل ان يكون مقرّه المبنى القديم لمجلس الأُمّة ، فهو خير مكان يمكن ان يصلح المجمع . ومن اجل ذلك قام رئيس المجمع بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، ثم تشرّف الرئيس واعضاء المكتب التنفيذي بمقابلة جلالة الملك المعظم . وقد تفضّل جلالته بابداء اهتمامه الكريم بالمجمع ، وبرسالته السامية ، وقال جلالته انه يمنح المجمع دعمه المطلق ، ووعد جلالته بدراسة موضوع المبنى القديم للمجلس .

وخلال هذه الفترة لقي المجمع من الجامعة الاردنية رعاية مشكورة ، ومساعدات ثمينة سهّلت له ممارسة المهمّ والضروري من اعماله : فكان المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان اجتماعاتهما في مبنى الجامعة ، كما كان قسم كبير من اوراق المجمع ومَحاضِر جلساته يُطبَع ويُستَنسَخ على الآلة الناسخة في الجامعة نفسها ، وبوسائل الجامعة ، وبواسطة بعض موظفيها .

وفي ١٩٧٧/٦/١ وقع اختيار المجمع على مبنى مناسب في جبل الحسين ، فاستأجره بمبلغ (عشرة آلاف دينار سنويا) . ومضى يؤثثه بالعاجل الضروري من الأثاث لضمان انتظام عمله ، كما عَيَّنَ المجمع ثلاثة موظفين : واحدا للمحاسبة واللوازم ، وواحدا لاعمال الديوان والطابعة كاتب لوازم ويساعد الاثنين ؛ وعَيَّن كذلك اثنين من الأذنة ؛ وطُبِعَت اوراق ومغلّفات وملفّات خاصة بالمجمع . ولم يستكمل المجمع اثاثه ولوازمه بعد .

وانتظم العمل في مَقَرّ المجمع ابتداء من ١٩٧٧/٧/١ ، واخذ المكتب التنفيذي ومجلس المجمع يعقدان جلساتهما في المقرّ الجديد .

وقد انضمّ الى عضوية المجمع ستة اعضاء في بادىء الامر ، وعنوان بعد ذلك ، نسّبهم مجلس المجمع ، وصدرت بتعيينهم ارادة ملكية سامية ؛ فاصبح عدد اعضائه الآن ثلاثة عشر عضوا .

ثالثا : ـ موازنة المجمع

خلال الأشهر الثلاثة الأولى من تاسيس المجمع ـ وهي الأشهر الثلاثة الاخيرة من العام المالي ١٩٧٦ ـ حُوّلت مخصصات لجنة التعريب والترجمة والنشر من وزارة التربية والتعليم الى ميزانية المجمع . وقد بلغت تلك المخصصات (١٤٫٢١٤٫٧٥٠) اربعة عشر الفا ومئتين واربعة عشر دينارا وسبعمئة وخمسين فلسا .

وفي العام المالي ١٩٧٧ قرّر مجلس الوزراء تخصيص اعانة سنوية للمجمع في الموازنة العامة مقدارها (٦١٫٠٠٠) واحد وستون الف دينار ، تَسَلَّمها المجمع من وزارة المالية على اربع دفعات ، قيمة كل منها (١٥٫٢٥٠) خمسة عشر الفا ومئتان وخمسون دينارا .

وتلقّى المجمع ، بفضل مؤازرة العضو الدكتور محمد عدنان البخيت ، محافظ البنك المركزي ، تبرّعا من البنوك العاملة مقداره (٩٫٨١٢٫٥٠٠) تسعة الآف وثمانمئة واثنا عشر دينارا وخمسمئة فلس .

وعند إعداد الموازنة ، في اواخر عام ١٩٧٦ ، للعام المالي ١٩٧٧ ، طُلب المجمع رصد مبلغ (١٠٠٫٠٠٠) مئة الف دينار لبناء مقرّ له ، فلم يُرْصَد المبلغ في الموازنة .

وهكذا تأخّر بناء مقرّ المجمع ؛ وسيعاد طلب رصد هذا المبلغ للعام المالي القادم . وقد قام رئيس المجمع اخيرا ، مع عضو المجمع الدكتور اسحٰق فرحان ، بمقابلة دولة رئيس الوزراء ، وشرحا له في موضوع البناء فوعد دولته بالاهتمام به .

رابعا : ــ اعمال المجمع ومشاريعه

١ ــ رغبة في انتظام العمل في المجمع ، قام المكتب التنفيذي بوضع مشاريع الأنظمة التالية : استنادا الى الفقرة (د) من المادة (١٢) من قانون المجمع :

ا ــ النظام المالي .

ب ــ نظام الموظفين والمستخدمين .

ج ــ نظام اللوازم .

د ــ نظام علاوات الانتقال والسفر .

وقد رُفِعَت هذه المشاريع بواسطة وزير التربية والتعليم الى مجلس الوزراء لاقرارها ، فأُحيلت الى ديوان التشريع ؛ وقام الديوان بدراستها واعادة صياغتها ، ثم اعيدت طباعتها بصيغتها النهائية التي أقرَّها ديوان التشريع . ولكنَّ هذه الانظمة لم يتمّ إقرارها بعد في مجلس الوزراء رغم مضيّ بضعة اشهر على رفعها اليه .

وفي المقابلة التي تَمَّت اخيرا بين دولة رئيس الوزراء ورئيس المجمع ، والدكتور اسحٰق الفرحان ، جرى البحث في موضوع الأنظمة المتأخرة ، واهمّيتها بالنسبة الى انتظام عمل المجمع . فوعد دولته بالعمل السريع على اصدارها .

وقد أعَدَّ المكتب التنفيذي كذلك عددا من مشاريع التعليمات الداخلية التنظيمية ، وهي تنتظر صدور الانظمة المذكورة آنفا لكي توضع موضع التنفيذ .

٢ ــ من اهم المشاريع التي انصرف اليها المجمع مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي . وقد ناقش هذا الموضوع في ثلاثة اجتماعات من اجتماعات مجلس المجمع ، كما بحثه في اجتماعات اخرى من اجتماعات المكتب التنفيذي .

وقد قدّم الدكتور احمد سعيدان مذكرة اقترح فيها اسماء عدد من الكتب الممكن الشروع في ترجمتها ، واقترح كذلك اسماء المترجمين ، وقدّر تكاليف الترجمة . فوافق عليها مجلس المجمع ، كما عَرَض الامر على جامعة اليرموك لمعرفة رأيها ، فأيّدت المشروع ، ووعدت بالمشاركة في الترجمة . ويرجى الشروع في الترجمة قريبا ، بالتعاون مع الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ؛ ونأمل ان نجد تعاونا كافيا من سائر الجامعات العربية ، لكي تصبح اللغة العربية في وقت قريب لغة التعليم العلمي الجامعي في العالم العربي بأسره .

٣ ـ وتعاوَنَ المجمع كذلك مع الجامعة الاردنية ، ولا سيّما كلية التربية فيها وعمادة البحث العلمي والدراسات العليا في الجامعة ، لانجاز مشروع حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية . وقد تَمَّ المشروع في وقت قصير ، وأُرسِلَت الاوراق كاملة الى الجزائر ، حيث يتمّ الاشراف على تنسيق المشروع بأكمله في العالم العربي . وقد أشرَف على انجاز هذا المشروع الأستاذ عبد الله عويدات ، من كلية التربية في الجامعة الاردنية ، وكان تمويل المشروع من الجامعة نفسها ، في حين منح المجمع مكافأة مالية للمشرف على المشروع مقدارها مئة دينار .

٤ ـ ورغبةً في المساعدة على تعريب المصطلحات في دوائر الدولة ومؤسساتها ، كتب المجمع الى جميع الوزارات والدوائر والمؤسسات الاردنية لتزويده بما لديها من مصطلحات اجنبية ، ليقوم بتعريبها ، والاتفاق بعدئذ مع المجامع العربية الاخرى على توحيد مصطلحاتها في جميع البلدان العربية . ولقد استجاب لهذه الدعوة عدد من الوزارات والدوائر ؛ وسيعهد المجمع قريبا الى لجنة المصطلحات بتولّي هذه العملية بالتعاون مع الدوائر المعنيّة .

٥ ـ ومن أهـم المشاريع التي يعمل المجمع الآن جاهـدا لأجل تنفيذها اصدار مجلـة باسم (مجلة مجمع اللغـة العربية الاردني) لان هذه من الدعائم المهمـة التي يقوم عليها المجمـع ، ويؤدي عن طريقها رسالتـه العلمية واللغوية . ويأمـل المجمع ان يصدر العدد الاول منها قبـل نهاية العام الحالي[1] . ومـن اجل ذلك طلب المجمـع الى جميع اعضائه ، والى المجامـع الشقيقة ، المساهمة في تغذية المجلـة بالبحوث والدراسات.

٦ ـ تلقى المجمع عـدة دعوات من المنظمة العربية للتربية والثقافـة والعلـوم ، ومن المجامع الشقيقـة ، وبعض الجهات الثقافيـة الاخرى ، وشـارك في المؤتمرات والمناسبات الثقافية التاليـة :

أ ـ مؤتمر التعريب الثالـث في طرابلس / ليبيـا .

ب ـ مهرجان مجمـع دمشق بمناسبة مرور مئة عام على مولـد مؤسسـه الرئيس محمـد كرد علي .

ج ـ مؤتمـر الدراسات العربية والايطالية فـي البندقيه وفي باليرمو / ايطاليـا ١٩٧٦ .

د ـ تأبين المرحوم خـير الدين الزركلي في دمشـق .

هـ ـ حفلـة استقبال الاستاذ احمـد راتب النفاخ بمناسبة انتخابه عضوا في مجمـع دمشق .

و ـ مؤتمر الدراسات الايطالية / العربيـة في ايطاليا ، ١٩٧٧ .

وسيشارك أعضاء من المجمـع كذلك في مهرجان ابـن رشد في الجزائر في ربيـع العام القادم ، وفي مؤتمـر التعريب الجامعي في بغداد ، في هـذا العام .

٧ ـ اصبح المجمـع عضوا في اتحاد المجامـع العربية . وهذا يتيح لـه المشاركة الفعالة في اعمال المجامع العربية ، وفـي تنسيق العمـل معهـا .

---

(١) كتب هذا التقرير وقدم لمجلس المجمـع في ٣٠ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧ .

٨ ــ ألّف المجمع ستّ لجان دائمة للمساعدة على سرعة انجاز اعماله وهي :

١ ــ لجنة الاصول .

٢ ــ لجنة التعريب والمصطلحات والمعاجم .

٣ ــ لجنة التراث .

٤ ــ لجنة الترجمة .

٥ ــ لجنة المجلّة والمطبوعات .

٦ ــ لجنة المكتبة .

وبهذه اللجان يستطيع المجمع ان يطمئن الى انتظام العمل فيه ، والى انه يستطيع ان يمضي في تحقيق غاياته بخطى ثابتة ، آملا ان يجد الدعم الكافي من الدولة والمؤسسات الوطنية ، ليكون عمله مثمرا وفعالا في خدمة اللغة العربية ، والنهضة الثقافية في الاردن والعالم العربي ، باذن الله .

والمجمع يعلم أن المكتبة من اهم الدعائم التي يقوم عليها عمله ، وهو لذلك مهتم كل الاهتمام بتزويد مكتبته بالموسوعات والمعاجم والمراجع العلمية التي تهيىء له اسباب العمل الناجح المثمر .

ولقد كان المجمع يودّ أن يمضي في تنفيذ بعض مشاريعه الأخرى ، سيما اقامة موسم ثقافي للندوات والمحاضرات الفكرية ، مشاركة منه في حركة الثقافة الاردنية ، غير ان تأخّر استقراره في مبنى خاصّ به ، وتأخّر صدور انظمته ، عاقاه عن ذلك . وهو يرجو أن يكون العام القادم ، احفل بالنشاط المثمر ، ان شاء الله .

نـــدوة المجمع الثقافيّـــة الأُولى

الموضوع : ــ **اسباب الضعف في اللغة العربية**

عَقَـــد مجمع اللغة العربية الاردني ندوتـــه الثقافية الاولى في مقرّه في جبل الحسين الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاحد ١٨/١٢/١٩٧٧ م. الموافـــق ٨/١/١٣٩٨ هـ. وكـــان موضوع الندوة (اسباب الضعف في اللغـــة العربية) . وقد ادارها رئيس المجمـــع الاستاذ الدكتور عبـــد الكريم خليفة ، واشترك معـــه فيها كلٌّ من عضو المجمـــع الاستاذ الدكتور محمود ابراهيـــم ، والدكتور نصرت عبـــد الرحمٰن ، من اعضاء الهيأة التدريسية في قسم اللغـــة العربية في كلية الآداب ، في الجامعة الاردنية . وحضر الندوة عـــدد من اعضاء المجمـــع ، ونخبة من المهتمين باللغـــة العربية ، والكُتّـــاب الأُردنيين ، ومن العاملين في مديرية التربيـــــة في محافظـــة عمـــان .

استهلَّ الدكتور عبـــد الكريم خليفة الندوة بالاشـــارة الى أن هناك مشكلة حقيقية تستدعي الاهتمـــام والمناقشة ، وهي مُشكلـــة الضعف العام في اللغـــة العربية ؛ فعلى الرغم من انتشـــار التعليم في العالـــم العربي بشكل واســـع ، لا يزال خرّيج الدراســـة الثانوية ، في الغالب ، يعجز عن قراءة صفحة واحدة قراءة صحيحة ، وعن كتابة رسالة قصيرة دون اخطاء كثـــيرة : في الاملاء ، وفي التركيب ، وفي القواعـــد الصرفية

والنحوية . وليس خريج الجامعه بأحسن حالا منه . يضاف الى ذلك ان الكثيرين من المعلمين والمعلمات ، حتى ممّن يُدرّسون اللغة العربية نفسها ، يعانون ضعفا ملموسا فيها ، وكذلك الكثيرون من الكتاب انفسهم ، ولا سيما من الشبان .

واشار الدكتور خليفة الى ان هذه ، في الواقع ، مشكلة خطيرة ، لان اللغة هي مرآة الأمّة ، وهي رابطة الوحدة التي تشمل الأمّة في كل ارجاء وطنها الكبير ، وعلى الرغم من ان الموضوع قد استأثر باهتمامٍ واسعٍ وطويل الامد من جميع الهيئات المعنية باللغة العربية ، ظلّ الضعف كما هو ، ولم تُتّخذ اية خطوة عملية نحو معالجته .

وقال الدكتور خليفة إننا نجتمع الآن مع هذه النخبة الطيّبة من الاساتذة والمربّين الحريصين على كرامة اللغة العربية ، لكي نتبادل الرأي معهم في هذا الموضوع الحيوي ، لعلّنا ننسج ايدينا على بُرْءٍ من الداء ، ونتعاون معًا على ان نجد له الدواء .

ثمّ أعطى الكلمة للدكتور محمود ابرْ هيم ، فبدأ بالحديث على الازدواجية في اللغة ، وقال إن الطفل يتعوّد على سماع اللهجة العامّيّة في البيت والشارع ، وعلى التحدّث بها ؛ وحين يصل الى المدرسة يجد امامه لغة اخرى جديدة عليه ، يبدأ بتعلّمها على معلّميه ، فيحسّ عندئذ بهُوّة واسعة بين اللغة التي اعتادها ، واللغة الجديدة التي بدأ يتعلمها ، فكأنّ هذه لغة اجنبية يُفْرَض عليه ان يتعلّمها وان يُترجِم اليها افكاره ؛ وهذا سبب من اسباب الضعف الذي نعاني منه في اللغة العربية .

وقال الدكتور محمود إن هناك اسبابا اخرى عديدة ، لا يمكنه ان يفصّل الحديث فيها دفعة واحدة ، ولكنه يقتصر الآن على هذا السبب الاول — وهو الازدواجية — على ان يعود الى تناول بعض الأسباب الاخرى .

وأُعطِيت الكلمة بعده الى الدكتور نصرت عبد الرحمٰن ، فبدأ بتلاوة نَصٍّ اخذه من (ادب الكاتب لابن قتيبة) يعيب فيه على المتأدبين

ضعف لغتهم ؛ ثم تلاه بنصٍ لاحمد امين في الموضوع نفسه ، من كتابه (فيض الخاطر) في المعنى نفسه . ثم قال إن بين هذين النصّين نحو الف عام من الزمن ، ومع ذلك كانت الشكوى تتردّد في كليهما من ضعف لغة الكتاب . فالشكوى اذن قديمة جدًّا ، رافقت تاريخ الأدب العربي كلّه ، ولا تزال تتكرّر بالنغمة عينها .

وقد انكر الدكتور نصرت اسباب هذه الشكوى ، وقال انها غير قائمة ، لانه لا يزال لدينا اليوم كُتّاب يكتبون بلغة افضل من لغة احمد امين نفسه ، وهذا يعني أن اللغة العربية بخير ، وان الشكوى المذكورة ليست سوى من قبيل القلق الحريص على ان تَظلَّ اللغة قويّة عزيزة .

غير أن الدكتور نصرت عاد فاعترف بوجود المشكلة ، وتحدّث على سبب من اسباب الضعف في اللغة العربية ، اذ قال إن الكتب المدرسية في البلدان العربيّة توضع على أُسُسٍ تربوية ونفسيه تعْرف مقدرة الطالب في كل مرحلة من مراحل الدراسة ، فتجعل لكل مرحلة قاموسا من المفردات خاصا بها . واما عندنا فقد لاحظ المتحدث ان كتاب القراءة للصف السادس الابتدائي ، اصعب في مفرداته وتراكيبه من كتاب الصف الثالث الإعدادي ، مما يَدلُّ بوضوح على عدم وجود خطّة تعليمية ذات اسس نفسية وتربوية سليمة . فلا غرابة اذن في أن يشعر الطالب بشيء من الفتور والتردد امام الصعوبة اللغوية التي تَبْرُز له في كتب المدرسة .

وعَقّب الدكتور عبد الكريم خليفة على ذلك بأن حاول تلخيص ما قاله الزميلان : الدكتور محمود ابرُهيم والدكتور نصرت عبد الرحمٰن ؛ ثم وجّه الكلام الى الحضور ، وقال إن لديهم من الافكار والآراء حول الموضوع ما يمكن ان يزيد الموضوع انارة وبلورة .

واشترك في المناقشة كل من السادة : حسني فريز ، ومحمد عطيات ، والاستاذ مصطفى الزرقا ، وروكس العزيزي ، وعبد الرحمٰن بشناق ، والدكتور محمد بركات ابو علي . ثم طلب الدكتور محمود

ابرْ هيم الكلمة ، فلّق علـى راي زميله الدكتور نصرت عبـد الرحمٰن : فقالْ إن مـا يراه الزميل المحترم من ان اللغـة العربية بخير ، وانـه ليس في الامكان ابدع مما كـان ، معناه ان المشكلة غـير موجودة ، وان مناقشتها لا ضرورة لهـا ؛ ولكن الواقع ان مـا يراه من ان هناك اليوم كُتّابًا يكتبون بلغـة افضل من لغـة احمد امين ، انما هو امر ينطبق على افراد معدودين ، وليس علـى المتعلّمين والمثقفين عامة . وقـال إن استمرار الشكوى منـذ زمن ابن قتيبة ، الى زمن احمـد امين ، ثم الى اليوم دليل واضح علـى ان هناك مشكلة حقيقية تقتضي العـلاج .

ثـم اشار الدكتور محمود الى ان المشكلة تكمـن في اكثر من سبب واحـد : فهناك الكتاب المدرسـي الذي لا تُراعَى فيـه سنّ الطالب ومقدرته الذهنية ؛ وهنـاك المنهاج الذي لم يوضع علـى أُسُس نفسية وتربوية وتعليمية سليمـة ؛ وهناك المعلم الذي كثيرا مـا يكون هو نفسه ضعيفا في اللغـة وقواعدها وبلاغتها . ومـا لـم يُعَدَّ المعلّم إعدادا جيّدا ، سيظلّ هو احـد الاسباب الكبرى في ضعف اللغـة عند طلابه .

وختـم الدكتور عبد الكريم خليفة المناقشة بقولـه : ان هذه هي ندوتنا الاولى ، وقـد خَصَّصناها لمعالجة اسباب الضعف في اللغـة العربية ، لان المجمع قد قـام اساسا من اجل خدمة هذه اللغـة الشريفة ، لغـة القرآن الكريم ، ولغة الأُمـة العربية بأسرها . والمجمع يَعْتَبِر هـذه اللغة امانةً مقدسة في عنقـه ، يحرص على سلامتهـا ، وعلى كرامتها وعلـى تلافي اسباب الضعف فيهـا .

وقـال الدكتور خليفة إن لغتنا ليست اكثـر صعوبة من اللغات الغربية ، فنحن لـو اخذنا تصريف الأفعال باللغـة العربية ، وقارنّاه بتصريف الأفعال في اللغـة الفرنسية ، مثلا ، لوجدنا ان لغتنا اسهل كثيرا . وضرب علـى ذلك مثلا من تصريف الفعـل : (ذَهَبَ) ومقابله بالفرنسيـة (ALLER) وبَيَّن كيف يتنقّل الفعـل بالفرنسية بـين شكلين مختلفين كـل الاختلاف ، فيقـال :

Je vais - Tu vas - Il va

Nous allons, vous allez, ils vont

. هناك فعلان يتصرفان معا ، لا فعلٌ واحد ، في حين ان الفعل العربي يَظلُّ واحدا في كل تصريفاته .

وعقّب على ذلك بقوله إنّ الصعوبة اذن ليست في اللغة نفسها ، بل هي في اسباب اخرى خارجة عنها : من المنهاج ، والكتاب المدرسي ، والمعلم ؛ ومتى صلحت هذه كلها استطعنا التغلب على المشكلة من اساسها .

واضاف قائلا إن هناك شيئا من الصعوبة الفعلية في قواعد الصرف والنحو ، ولكن هذه الصعوبة تزول متى عرفنا كيف نتغلب عليها بالحكمة ، وبأنْ لا نُعلِّم الطلاّب منها الا ما هو اساسيّ،وعلى شكل دوائر : تبدا صغيرة ، ثم تَكْبُر مع تعاقُبِ الصفوف ، ونُمُوِّ الطالب . واما حين نعطي الطفلَ كلَّ صعوبات القواعد وهو ما يزال دون سنّ النضج ، فنحن نضع العقبات في سبيل تعلُّمه للغة ، ثم نلومه على التقصير في فهمها .

وشَكَرَ الدكتور خليفة للمشاركين في الندوة تَفَضُّلَهم بالحضور ، وحسنَ تعاونهم بالمشاركة في مناقشة المشكلة ، ووعد بأن يمضي المجمع في ندواته لخدمة اللغة العربية ، معتمدا على مشاركتهم وتعاونهم وتشجيعهم للمجمع ولرسالته المقدسة .

حـــول "معجـــم الرياضيـــات"

تلقّى رئيس مجمع اللغـــة العربية الأردني الكتاب التالي من الدكتور محمـــد مرسي احمد ، عالِـــم الرياضيات المصري ، والأمين العام لاتّحاد الجامعات العربيـــة في القاهرة ، حول (معجـــم الرياضيات) الذي اهداه اليه المجمـــع الاردني ؛ والمجمع يعتزّ كـــل الاعتزاز برأي الدكتور مرسي في (معجم الرياضيات) لانه صادر عن خبير وعالِـــم رياضي كبير .

« الاستاذ الكبـــير الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغـــة العربيـــة الاردنـــي .

تحيـــة طيبة ، وشكرا جزيلا على ما تفضّلتم بـــه من اهدائي (معجم الرياضيات) الذي سيســـدّ ، ولا شك، فراغا كبيرا في تعليـــم الرياضيات باللغـــة العربية ؛ وكُنّـــا في أمسّ الحاجة الى مثل هـــذا العمـــل الجليـــل .

ولا اخفـــي عليك انني مرتاح غايـــة الراحة لاطّلاعي على هـــذا المعجم ، لأنني، مـــع زملائي في مجمع اللغة العربية في القاهـــرة، مُعنيّون بتعريب وترجمـــة بعض مصطلحات الرياضيات ؛ وحتّـــى لا أُكرّر عملا قد أُنجِز، أَعلمكم منّـــا كل شكر وتقديـــر .

« اكـــرر التحية والشكر ؛ وأُمتّعكم اللـــه الى ما فيه خير امتنـــا ونفـــع شبابنـــا » .

القاهـــرة — ٢٢/١٠/١٩٧٧ م .

التوقيـــع

(محمـــد مرسي احمـــد)

وجديـــر بالذكر ان (معجـــم الرياضيات) قد اشترك في وضعـــه عشرة اخصائيين فـــي الرياضيات من اساتذة الجامعة الاردنيـــة، ووزارة التربية والتعليم ، بتكليفٍ من لجنـــة التعريب الأردنية في ايامهـــا الاخيرة قبـــل ان تتحوّل الى مجمع اللغـــة العربية الأردني. وقد قام المجمـــع باهداء نسخ منه الى المجامـــع الشقيقة والمؤسسات العلميـــة الاخرى .